الفضائل الخلقية

دراسة للمناهج والآراء

دكتورة
منال سمير الرافعى
أستاذ مساعد بقسم العقيدة والفلسفة

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

مقدمـــــــــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرســـلين ســـيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،ومن اهتدى بهديه وعمل بشريعته إلى يوم الدين.

وبعد...

فمنذ فجر التاريخ وعبر عصور الحضارة والإنسان يبحث عن ماهية الخير والشر والفضيلة والرذيلة، وعن مقياس لتقدير أعماله من حيث هى خير أو شر.

فاتخذ العرف والتقاليد مقياساً لأعماله، فما وافق عرف الجماعة كان خيرا وما خالفه كان شراً.

ولم يلبث الإنسان أن ارتقى بفكره قليلاً فأدرك أن ما يعتمد على العـــرف والتقاليد لايصلح أن يكون مقياسا صحيحاً فكثيراً ما يختلف الناس ويرون مـــاهو خير فى حقيقته شر وماهو شر يكون فى واقعه خيراً.

وعندما أدرك الإنسان ذلك اتجه إلى القوانين الوضعية التى وضعها البشر يلتمس فيها المقياس الخلقى، ولكن هذه القوانين ليست ثابتة وعامـــة، ومـــن ثـــم لاتصلح لأن تكون مقياساً خلقياً.

فلابد من التماس المقياس الخلقى فى قانون ثابت يسمو ويرتفع على كـــل قانون وعرف، ويصلح لأن يكون مقياساً خلقيا عاماً وشاملاً.

وذلك لايكون إلا فى القانون السماوى لأن مصدره الوحى الإلهى المعصوم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه.

فالقانون الإلهى هو مصدر ومنبع المبادئ الخلقية فلا حاجة للبحـــث فـــى أصل الخير والشر والفضيلة والرذيلة، فالدين الإسلامى هدانا إلى الأصول العامة

للفضائل والرذائل، وحددها تحديداً واضحاً، ووضح الفضائل الخلقية التى يجب على المؤمن الالتزام بها حتى يكون فاضلاً، كما وضع القواعد المنظمة لسلوك الإنسان فى الحياة ونظم علاقته بالمجتمع.

كذلك ربط الدين الإسلامى بين عقيدة الإيمان وبين الأخلاق ربطاً وثيقاً، وبمقدار ما يمتاز به الإنسان من طاعة لربه وإخلاص فى إيمانه بمقدار ما يكون عليه من الخلق الإنسانى الكريم والسلوك القويم.

ولعل ما أصاب المجتمع اليوم من انحراف في الأخلاق وانحلال فى السلوك وسوء فى العلاقات الإنسانية وتفكك فى الروابط الأسرية وانهيار فى الفضائل الخلقية وانزلاق إلى مهاوى الرذيلة مرجعه البعد عن العقيدة الدينية وعدم الالتزام بالأخلاق الفاضلة القائمة على العقائد الإيمانية الصحيحة.

لذا فما أحوجنا اليوم إلى تهذيب سلوك الإنسان، ونشر روح المحبة والوئام بين الأفراد ولن يتأتى ذلك إلا ببيان أصول الفضائل وتحديد معالم الطريق إلى اكتسابها والتخلق بها والترغيب فى الاستمساك والتحلى بها بين أفراد المجتمع عامة والمجتمع الإسلامي خاصة.

ومن هذا المنطلق كانت هذه الدراسة العلمية للفضائل الخلقية من أجل الحفاظ على إيماننا القويم وأخلاقنا الفاضلة التى نرجو أن تكون مساهمة فى بيان الطريق القويم للإنسان ليحيا حياة كريمة يسودها الحق والخير والعدل وغيرها من الفضائل السامية.

مفهوم الفضيلة

الفضيلة من حيث مدلولها اللغوى تعنى الفضل والزيادة، (فضل) الشىء فضلاً زاد على الحاجة[١].

أما فى اصطلاح علماء الأخلاق فيمكن تعريفها بأنها الخلق الطيب، والخلق هو عادة الإرادة، فالإرادة إذا اعتادت شيئًا طيباً سميت عادتها حينئذ بالفضيلة، والإنسان الفاضل هو ذو الخلق الطيب الذى اعتادت إرادته العمل حسب ما توصى به الأخلاق[٢].

ويعرف معجم لالاند الفضيلة بأنها "الاستعداد الراسخ لإنجاز نوع معين من الأفعال الأخلاقية" أو "الاستعداد الراسخ لإرادة الخير، عادة فعل الخير"[٣].

ومن ذلك يتضح أن الفضيلة لا تتحقق بفعل الخير وصدوره عن الإرادة فى وقت دون وقت، ولكن لكى يكون الإنسان متصفاً بالفضيلة الخلقية لابد أن يكون معتاداً عليها فى كل زمان ومكان، وعلى هذا فلا يكفى فى وصف إنسان بفضيلة الصدق أو الأمانة أن يصدق مرة ويكذب أخرى بل لابد أن يكون صادقاً أمينا دائماً، فالأساس فى وصف الإنسان بالفضائل الخلقية أن تكون هذه الفضائل نابعة من ذاته حسب إرادته الحرة ويلتزم فعلها دائماً ويبتعد عن ضدها.

وتعود الإرادة لفضيلة من الفضائل إنما يأتى نتيجة للتكرار بالتكرار تتعود الإرادة على هذا السلوك وتألفه.

مفهوم الفضيلة عند فلاسفة اليونان

لقد احتل بحث الفضيلة مكاناً بارزاً فى الفلسفة الخلقية على مر العصور، واختلفت آراء الفلاسفة فى مفهوم الفضيلة منذ زمن سقراط وحتى الآن.

---

(١) المعجم الوجيز ص٤٧٤، مختار الصحاح ص٥٠٦.

(٢) الأخلاق، د. أحمد أمين، الطبعة العاشرة ص١٧٧.

(٣) المعجم الفلسفى لمجمع اللغة العربية ص١٣٦، الأخلاق النظرية، د. عبد الرحمن بدوى ص١٤٣.

فكان **السوفسطائيون** يزعمون أنهم معلمو فضيلة، ويقصدون بالفضيلة أنها كمال استعداد كل كائن فيما خلق له أى "المهارة الشخصية" ففضيلة السياسى كماله فى المهارة السياسية، وفضيلة الطبيب معالجة المرضى، وفضيلة الرائض مهارته فى تدريب الخيول...الخ(١).

ولما كان السوفسطائيون يدربون الشباب ليجعلوا منهم مواطنين صالحين للظروف السياسية التى تحيط بهم، فهم معلمو فضيلة بهذا المعنى، فكلمة الفضيلة فى ذلك الحين لم يقصد بها المعنى الأخلاقى الذى تدل عليه الآن(٢).

وكان السوفسطائيون يدعون أن الطبيعة الإنسانية ماهى إلا مجموعة من الأهواء والشهوات، وعلى ذلك فغاية الإنسان هى اللذة، وأن القوانين وضعها المشرعون لقهر الطبيعة، وأنها متغيرة بتغير العرف والظروف، فهى نسبية غير واجبة الاحترام لذاتها، ومن حق الإنسان القوى بالعصبية أو بالمال أو بالبأس أو بالدهاء أن يستخف بها أو ينسخها ويجرى مع هوى الطبيعة(٣).

وقد ذهب السوفسطائيون إلى أن المعرفة نسبية تختلف باختلاف الأشخاص واختلاف الأحوال بالنسبة للشخص الواحد وأن الإنسان مقياس الأشياء جميعاً، وبذا تتعدد الحقائق بتعدد مدركيها وامتنع وجود حق أو باطل فى ذاته، فالحق هو ما يراه الشخص حقا والباطل مايراه باطلاً دون نظر إلى رأى سواه فليست هناك حقائق ثابتة(٤).

ولئن كانت هذه النظرية فى المعرفة، إلا أنهم مدوا أثرها إلى مجال الأخلاق وأصبحت القيم والمبادئ الخلقية -تبعاً لذلك- نسبية تتغير بتغير

---

(١) تاريخ النظريات الأخلاقية، د. أبو بكر ذكرى ص٥١.
(٢) قصة الفلسفة اليونانية، د. أحمد أمين ص٦٩.
(٣) تاريخ الفلسفة اليونانية، د. يوسف كرم ص٥٣.
(٤) الفلسفة الخلقية، د. توفيق الطويل ص٢٣.

الزمان والمكان، وتختلف تبعاً لاختلاف الظروف والأحوال والأفراد.

وقد نتج عن هذا المذهب أنهم أطاحوا بالحقائق الثابتة فى مجال **المعرفة** وأبطلوا القول بالمبادئ المطلقة فى مجال الأخلاق كما هدموا كل **مقومات** المجتمع من الدين والأخلاق والقانون، فقد ذهب كل فرد فى إدراك **الفضيلة** والرذيلة وتفسير الخير والشر مذهبا يناسب هواه ويتفق ومآربه، **وأخضعوا** الدين للشك والنقد كما أنكروا الحقائق الخارجية ولم يعتقدوا أن ثمة حقيقة فى الواقع الخارجى مستقلة عن الإنسان[١].

ولاشك أن هذه الآراء السوفسطائية تعنى هدم كل مقومات **المجتمع** الإنسانى لأنها تجعل من هذا المجتمع غابة بشرية لا مكان فيها إلا للأقوياء ولا وجود فيه للقيم والفضائل الأخلاقية النبيلة إنما تحكمها وتقودها الغرائز الحيوانية التى من شأنها أن تقضى على إنسانية الإنسان.

ولقد استطاع **سقراط** التصدى للسوفسطائيين بإثبات حقائق **الأشياء** وإقرار المعرفة العقلية وفصلها عن المعرفة الحسية، وبذلك أثبت ما أنكره السوفسطائيون من وجود الحقائق الثابتة فى الواقع الخارجى.

كما وضح أن الإنسان فى حقيقته هو العقل الذى يسيطر على الحس ويدبره، وأن القوانين العادلة مصدرها هذا العقل وهى فى نفس الوقت صورة لقوانين إلهية فطرية فى النفس الإنسانية ولذلك فهى مطابقة للطبيعة **الإنسانية** الحقة، ومن ثم يجب احترام القوانين العادلة احتراماً للعقل والنظام الإلهى.

فغاية الإنسان وسعادته إذن ليست هى اللذة الحسية كما ذهب السوفسطائيون، وإنما هى غاية عقلية روحية هى الحكمة، أى تمام العلم وكمال

---

(١) قصة الفلسفة اليونانية، د. أحمد أمين ص٧٩.

المعرفة[1].

وعلى ضوء ما تقدم من تفسير سقراط لحقيقة الإنسان رأى أن الإنسان خير بأصل طبيعته فهو يقصد الخير دائماً، ويهرب من الشر بالضرورة، وهو يمارس الفضيلة حتما ويؤثرها على كل لذة متى عرف ذاته وأيقن أن الفضيلة خيرها الحقيقى، ومحال أن يفعل الشر وهو عالم به، وأما فعل الشر وارتكاب الرذيلة فهو ناشئ من جهل فاعله بحقيقة نفسه وخيرها الحقيقى، وفى ذلك يروى عن سقراط انه قال: "لايمكن أن يتعمد إنسان الوقوع فى الشر، وإذا ارتكبه فلأنه لايعرف الإدراك العقلى للخير، ولما كان يجهل حقيقة الخير تراه يفعل الشر وهو يظن أنه الصحيح"[2].

وإذا كانت الفضيلة هى المعرفة بما هو خير فكيف نعرف أن هذا العمل خير وذاك شر؟ يجيب سقراط عن هذا بأن للخير أصلاً ثابتاً لدينا، فنحن نعرف الخير بالضمير الذى هو الصوت الداخلى الذى يهيب بنا أن نعمل هذا ونترك ذاك"[3].

لذلك يرى سقراط أن الفضيلة والعلم شئ واحد فيستحيل أن تعرف الخير معرفة صحيحة ولا تعمله، كما يستحيل أن تعمل الخير ولا تعرف، فيكفى فى نظر سقراط أن يعلم الإنسان ماهى الفضيلة حتى يكون بمنجاة من فعل الرذيلة، وكل عمل شر إنما يصدر عن الجهل بالفضيلة، لأن الإنسان لايسعه إذا عرف الخير أن يفعل الشر.

وسقراط بهذا يوحد بين الفضيلة والمعرفة، ولذا فهو يعرف الفضيلة بأنها

(١) الأخلاق بين الفلسفة وحكماء الإسلام، د. مصطفى حلمى ص٣٥، تاريخ الفلسفة اليونانية، د. يوسف كرم ص٥٣.
(٢) قصة الفلسفة اليونانية، د. أحمد أمين ص١٠١.
(٣) تاريخ الأخلاق، د. يوسف موسى ص٦٩.

العلم والرذيلة بأنها الجهل ويترتب على هذا التعريف نتيجتين:

الأولى: أن العمل لايحكم عليه بأنه خير وفضيلة إلا إذا كان مؤسساً على العلم نابعاً من المعرفة، وكل عمل خير ليس صادراً عن علم بخيريته، لايعتبر خيرا ولا فضيلة.

الثانية: أن المعرفة الكاملة بخيرية العمل تحمل الإنسان حتما على مباشرته، كما أن العلم التام بأنه شر، يدفعه حتماً إلى تركه، وليس هناك إنسان يرتكب الشر وهو عالم بنتائجه، فكل الشرور منشؤها الجهل[١].

وقد يكون سقراط على حق فى القول بأن أساس الفضيلة المعرفة، فلا يكون الإنسان فاضلا حتى يعرف الخير ويقصد إلى عمله، أما قوله بأن المعرفة بالفضيلة تحمل الإنسان حتما على فعلها فهو غير مسلم فكثيراً ما يعرف الإنسان الخير ويتركه ويعلم الشر ويأتيه ضرورة أن الإنسان ليس عقلاً محضا أو روحا صرفا، وإنما هو مزيج من الروح والمادة أو العقل والشهوة، فمعرفة الخير ليست كافية فى الحمل على فعله بل لابد أن تدعمها إرادة قوية وعزم لايلين أمام الشهوات وبواعثها، حتى يكون العمل على وفق العلم[٢].

وقد تعرض رأى سقراط فى التوحيد بين العلم والفضيلة ووجود التلازم بينهما إلى النقد، فليس يكفى العلم بالخير للإقدام على فعله، وليس يكفى العلم بالشر لتجنبه. وفى ذلك يقول أرسطو "إن سقراط جهل أو تناسى أن نفس الإنسان ليست مركبة من العقل وحده، وتخيل أن كل أعمال الإنسان خاضعة لحكم العقل، ومن ثم إذا علم العقل صدر العمل، ولكنه نسى أن أكثر أعماله محكومة بالعواطف والشهوات، وإذ ذاك قد يقع فى الخطأ مهما علم العقل"[٣].

---

(١) قصة الفلسفة اليونانية، د. أحمد أمين ص١٠١، الأخلاق، د. أحمد أمين ص١٧٩.

(٢) قصة الفلسفة اليونانية، د. أحمد أمين ص١٠٢.

(٣) الأخلاق، د. أحمد أمين ص١٨١.

ومن رجال العصر الحديث نجد "سانتهلير" فـــى مقدمـــة ترجمـــة كتـــاب الأخلاق لأرسطو يقول ناقدا لسقراط "ليس ما يقع الإنسان فيه من الإثم ناشئاً عن خطأ فى الموازنة بين اللذة الحاضرة والآلام المستقبلة التى هى أكبر منهـــا كمـــا يعتقد سقراط، ولا ناشئاً عن الجهل بطبائع الأشياء، إنما منشؤه فساد فى الخلـــق يحمل الإنسان على تفضيل الشر على الخير وهو عالم بهما وبقيمة كليهما جميعا، فإن الشرير لايجهل البته ما يفعل من سوء، إنه يشعر تماماً بخســـرانه، ولكنـــه يسعى إلى هذا الخســـران وهو آسف، وحينئذ لاتكون الفضيلة والعلم متمـــاثلين، فقد يعلم الإنسان ولا يعمل، وقد يعمل ضد ما يعلم، إذا كانت الفضيلة فى الواقـــع هى العلم وجب على الإنسان أن يقتصر على أن يعلم ليكـــون فـــاضلاً وبذلـــك تتضاءل الحياة الأخلاقية إلى مجرد النظر والتأمل"(١).

وعلى الرغم من ذلك يبقى لسقراط الفضل فى تأســـيس علـــم الأخـــلاق وتوجيه عنايته للمعرفة ودورها فى ترسيخ الفضائل الخلقية، وإن كـــان ســـقراط اسرف فى مثاليته إلى الدرجة التى أبعدته عـــن واقع الحقيقة الإنسانية فما هـــذا إلا دليل على مبلغ إيمانه بالعقل وحبه للخير.

وجاء <u>أفلاطون</u> تلميذ سقراط فسار على نهج أستاذه وشاركه فـــى رفضـــه الاتجاه السوفسطائى فـــى التوحيد بين الفضيلة واللـــذة الفرديـــة، وأوضـــح أن الفضيلة ليست مرادفة للذة وليست هى عمل ما يراه الشخص حقـــاً فهـــو حـــق بالنسبة له حتى ولو كان غير حـــق بالنسبة لآخر، فإن هذا يستدعى أن الشئ حق فى ذاته بل الحق نسبى.

لذلك قرر أفلاطون أن الفضيلة الحقة ليست مجرد عمل الحق فإن العمـــل الحق قد يصدر عن أساس باطل، إنما الفضيلة الحقة هى العمـــل الخـــير الـــذى

(١) مقدمة كتاب الأخلاق لأرسطو، ترجمة الأستاذ/ لطفى السيد جـ١، ص٤٩، ٥٠.

يصدر عن علم بما هو حق بل يشترط أيضاً معرفة لم كان هذا الحق حقــا، وأن الإنسان الفاضل يؤدى الفعل الخير لذاته باعتباره غاية فى نفسه(١).

ومن ثم قسم أفلاطون الفضيلة إلى فضيلة فلسفية وفضيلة عادية، فالفضيلة الفلسفية هى العمل الخير الذى أسس على العقل أى على التفكير وفهم الأســـاس الذى بنى عليه العمل، وهذا النوع من الفضيلة هو فضيلة الفلاسفة ونوابغ الناس.

أما الفضيلة العادية فهى العمل الخير الناشئ عن عرف أو تقليد أو غريزة أو عطف، فالفضيلة الثانية هى فضيلة العامــة وأشباههم يعملـــون الخــير لأن الناس يعملونه من غير تفكير فى عله خيريته.

ولكن أفلاطون لم يجرد الفضيلة العادية من القيمة، بل جعل لها دوراً فـــى التهيئة والاستعداد للفضيلة الفلسفية، فالإنسان لايستطيع أن يقفـــز إلـــى قمــة الفضيلة الفلسفية دفعة واحدة، بل لابد له من التدريب والتدرج فى السير للوصول إليها، ويساعد على ذلك الاعتياد على الأفعال الفاضلـــة، وغــرس الفضائـــل العرفية والعادات الحسنة، حتى إذا جاء دورالتفكير والتأمل كان الاستعداد لذلـــك حاصلاً، واستطاع الإنسان أن يصعد إلى الفضيلة الفلسفية على هذا الأساس(٢).

وقد تابع أفلاطون فى كتاباته الأولى أستاذه سقراط فى أن الفضيلة واحـــدة وهى العلم أو المعرفة، لكنه فى كتاباته المتأخرة قال بتعددها وذلك لأنـــه أســس فلسفته الأخلاقية على دعائم من النفس والعقل، فهو يرى أن الإنسان ليس عقـــلاً صرفاً وإنما هو عقل وشهوة وأن للنفس ثلاث قوى تنشأ عن اعتدال كـــل منهـــا فضيلة خاصة، ومن اعتدال هذه القوى الثلاث وتوافقها مع بعضها تنشأ فضيلـــة

(١) قصة الفلسفة اليونانية، د. أحمد أمين ص١٨١، الأخلاق بين الفلاسفة وحكماء الإسلام، د. مصطفى حلمى ص٣٧.

(٢) الأخلاق، د. أحمد أمين ص١٨١، مقدمة فـــى علـــم الأخـــلاق، د. حمـــدى زقـــزوق ص١٥٠.

أخرى عامة هى جماع الفضائل كلها وهى "العدالة"(١).

وهذه القوى الثلاث هى القوة العقلية وتنشأ عنها فضيلة الحكمة، والقوة الغضبية وتنشأ عنها فضيلة الشجاعة، والقوة الشهوية وتنشأ عنها فضيلة العفة، ومن اعتدال القوى الثلاث مع بعضها تنشأ فضيلة العدالة، وليست العدالة فضيلة خاصة بقوة من قوى النفس وإنما يعنى أفلاطون بالعدالة هنا التوافق والانسجام بين قوى النفس بوساطة العقل فلا تبغى إحداها على الأخرى، فهى حالة الاعتدال والتناسب فى النفس التى تنشأ من اجتماع الحكمة والشجاعة والعفة(٢).

ويرى أفلاطون أن الحكمة أولى الفضائل ومبدؤها فهى الفضيلة العليا وتنشأ من سيطرة القوة العاقلة على القوتين الغضبية والشهوانية وفى هذا يقول أفلاطون "ليست الفضيلة هذه الحسية النفعية التى تستبدل لذات بلذات، وأحزاناً بأحزان ومخاوف بمخاوف، كما تستبدل قطعة من النقد بأخرى، فإن النقد الجيد الوحيد الذى يجب أن يستبدل بسائر الأشياء هو الحكمة بها نشترى كل شئ ونحصل على كل الفضائل، أما الفضيلة الخالية من الحكمة، والناشئة عن التوافق بين الشهوات فهى فضيلة عبده"(٣).

فالفضيلة التى تخلو من الحكمة -فى نظر أفلاطون- لاتعد فضيلة لأنها لاتسمو بالإنسان على نفسه وإنما تجعله عبداً لها، ولا تتحقق السيادة على النفس إلا بالعقل والحكمة.

أما العدالة فإنها تنبع من الحكمة فى اعتدال القوى النفسية فهى تعادل قوى

---

(١) الأخلاق، د. أحمد أمين ص١٨١.

(٢) الجمهورية، ترجمة د. فؤاد زكريا ص٣٩، تاريخ الأخلاق، د. يوسف موسى ص٧٧، ص٧٨.

(٣) تاريخ الفلسفة اليونانية، د. يوسف كرم، ص٩٥.

النفس وانسجامها، وإذا ما تحقق التوازن -أى العدالة- بين قوى النفس وفضائلها تحقق للنفس سعادتها.

أما أرسطو فإن الفضيلة عنده هى فى أن يحقق الإنسان الكمـــال الممكـــن بالنسبة إليه، فهى تطلق على جميع الأفعال الحائزة للكمال، فالفعل الإنسانى أيـــا كان، عندما يتم على نحو كامل هو فعل فاضل وكمال أى فعل أو قدرة الإنســـان على القيام به على خير وجه، هو الفضيلة بعينها(١).

وبجانب هذا المعنى العام للفضيلة نجد أرسطو يشرع فى تحديـــد ماهيتهـــا على وجه الدقة ويضع معنى أكثر تحديداً للفضيلة، إذ يرى أنها "حالة اعتياديـــة" تكتسب بفضل تكرار نفس الأفعال وتخضـــع هـــذه الحالـــة الاعتياديـــة للعقـــل والروية، وبالتالى لضبط النفس الشهوية، ومن أجل ذلك فإن الرجل الفـــاضل لا تصدر عنه إلا أفعال فاضلة، والأفعال الفاضلة لاينطبق عليها وصف الفضيلة إلا إذا كان فعلها لذاتها، ولما فيها من جمال أخلاقى(٢).

فالفضيلة تتطلب أن يحقق الفاعل فى نفسه شرطين هما: استقامة النيـــة أى اختيار الفعل لذاته، ثم المثابرة أى أن يصدر الفعل عن ملكة ثابتة، ومعنى ملكـــة أنها ليست طبيعية فى الإنسان، وإنما هى حال للنفس مكتسبة بالمران والممارسة والتكرار، فلا يعتبر الإنسان عدلاً أو عفا حقاً إلا إذا عدل وعف بســـهولة ومـــن غير عناء، وهذا لايكون إلا بالمران على الفعل الفاضل وممارسته، فالممارســـة شرط نمو الملكة واستقرارها فى الفضيلة.

أما الفعل الفاضل المفرد أو المتكرر فى فترات متباعدة فليس بينـــه وبيـــن

(١) أرسطو، د. عبد الرحمن بدوى ص٢٥٩، مراحل الفكر الأخلاقـــى، د. نجيـــب بلـــدى ص٢٠.

(٢) الأخلاق النظرية، د. عبد الرحمن بدوى ص١٤٥.

الصادر عن ملكة الفضيلة إلا شبه ظاهرى فقط، لأنه غير صادر عن حال راسخة فى النفس، ولايدل على أن النفس اختارت الفضيلة حالا لها وغاية[١].

وتقوم الفضيلة فى نظر أرسطو على العلم والإرادة، فعلى الإرادة يتوقف الاختيار وتحديد الغرض، أما العلم فهو الذى يحدد الوسائل المؤدية إلى تحقيق هذا الغرض، وهنا ينقد أرسطو رأى سقراط فى أن الفضيلة هى العلم حيث يرى أنها متميزة عن العلم، لأن الإرادة تضاف إليها[٢].

والخلاصة أن الفضيلة عند أرسطو هى حالة اعتيادية وهذه الحالة الاعتيادية وسط بين رذيلتين يقول أرسطو "الفضيلة استعداد مكتسب وراسخ للفعل الإرادى التأملى، وفقاً لوسط عادل يتحدد بالنسبة إلينا وكما يحدده العقل[٣].

ويوضح أرسطو ما يقصده بالوسط العادل بأنه وسيط اعتبارى يتغير بتغير الأفراد والظروف التى تحيط بهم، والعقل وحده هو الذى يعين هذا الوسط.

والفضيلة عنده نوع من الوسط بين طرفين أحدهما إفراط والآخر تفريط وكلاهما رذيلة، ومعنى ذلك أن الأفعال بالإجمال منها ماهو إفراط وماهو تفريط، ومنها ماهو وسط بين الطرفين، فالفضيلة إذن هى عادة السلوك بلا إفراط ولا تفريط، أى تجنب الحد الأعلى والحد الأدنى فيما تدعو إليه نوازع النفس وقواها، يقول أرسطو "لأن الإفراط بالأكثر خطيئة، والإفراط بالأقل هو كذلك مذموم والوسط وحده هو الحقيقي بالثناء، إذ كان الإفراط والتفريط يفسدان الكمال، فإن الوسط الحق وحده يمكن أن يؤكده"[٤].

فالفضيلة وسط بين رذيلتين رذيلة الإفراط والتفريط فمثلاً فضيلة شجاعة

---

(١) دروس فى تاريخ الفلسفة، د. يوسف كرم ص٣٢، ص٣٣.
(٢) الأخلاق النظرية، د. عبد الرحمن بدوى ص١٤٥، ص١٤٦.
(٣) الأخلاق، لأرسطو، ترجمة لطفى السيد جـ١ ص٢٤٦.
(٤) الأخلاق، لأرسطو، ترجمة لطفى السيد جـ١ ص٢٤٧.

هى وسط بين إفراط هو التهور وتفريط هو الجبن، وفضيلة الكرم أو السخاء هى وسط بين إفراط هو التبذير وتفريط هو البخل.

وتسمى هذه النظرية بنظرية الأوساط أى أن كل فضيلة وسط بين رذيلتين، ولكن كيف تُعرف نقطة الوسط، ومن الذى يحكم بأن هذه الحالة هى حالة الاعتدال والوسط دون غيرها وليس الأمر سهلاً كخط نريد أن نعرف نقطة منتصفه، لم يشأ أرسطو أن يتعرض لهذا بل قال: أن ذلك متروك للظروف المحيطة بالشخص، وللشخص نفسه، فما يعد اعتدالاً فى ظرف قد يعد تطرفاً فى آخر، وماهو كرم بالنسبة لإنسان قد يكون إسرافاً أو بخلاً بالنسبة لآخر(١).

لذلك وجهت لهذه النظرية عدة اعتراضات أهمها:

١ - ليس هناك مقياس دقيق يبين لنا المنتصف بيانا تاما كما أن الفضيلة ليست دائماً فى نقطة المنتصف على بعدين متساويين فالشجاعة مثلاً أبعد من الجبن منها عن التهور، والكرم أقرب إلى الإسراف منه عن البخل.

٢ - هناك كثير من الفضائل لايمكن أن نطبق عليها نظرية الأوساط، فالصدق والعدل ليسا وسطاً لرذيلتين، فلا يوجد هناك إلا كذب أو صدق وظلم أو عدل.

٣ - يمكن أن يفهم من هذا الوسط المعنى المعروف وهو الوسط الرياضى أو الهندسى بحيث تكون نسبته إلى كل من الطرفين واحدة(٢).

وهذا الفهم لم يرده أرسطو بل أراد أنه وسط اعتبارى يختلف باختلاف الأفراد والأحوال، فكما أن كثرة الأطعمة تفسد الصحة فكذلك قلتها عن الحد اللازم، فالأمر كذلك بالنسبة للفضائل، فالكرم مثلاً بالنسبة للفقير غيره بالنسبة

(١) أرسطو، د. عبد الرحمن بدوى ص٢٦٠، الأخلاق، د. أحمد أمين ص١٨٣.
(٢) أرسطو، د. عبد الرحمن بدوى ص٢٦٠، الأخلاق، د. أحمد أمين ص١٨٣.

للغنى كما أنه بالنسبة للفرد نفسه حال فقره غيره بالنسبة له حال غناه، والفضيلة مع هذا أقرب إلى أحد الطرفين من الآخر فالشجاعة أقرب إلى التهور منها إلى الجبن والكرم أقرب إلى التبذير منه إلى البخل، ويرى أرسطو أن "كل إنسان عالم وعاقل يجهد نفسه اجتناب الافراطات من كل نوع سواء كانت بالأكثر أو بالأقل ولا يطلب إلا الوسط القيم"(١).

إذن فالوسط العدل اعتبارى نسبى يحدده الإنسان بالعقل والنظر حسب الأحوال والظروف، فالفضيلة ملكة اختيار الوسط الشخصى الذى يعينه العقل بالحكمة، وتكون الفضيلة أكمل إذا صدر الحكم فى تحديد الوسط عن عقل صاحبها واتبعته إرادته لا بالتقليد والأخذ عن الغير.

يقول أرسطو "أن الوسط العادل هو أن يفعل المرء مايجب عليه، وفى الوقت الذى يجب عليه فيه أن يفعل، وفى الأحوال التى يجب فيها تجاه الأشخاص الذين نحوهم يجب ذلك، ومن أجل الغاية التى من أجلها يجب ذلك وكما يجب ذلك"(٢).

يشرح أرسطو ذلك فيقول "إن الفضائل موضوعاتها انفعالات باطنة ونشاطات خارجية، ودورها هو أن تبعث الاعتدال فى بعض الانفعالات والنشاطات، فالشجاعة تعدّل الخوف والتهور لتمكين الجندى من الصمود فى موقعه من القتال، فلا يهرب ولا يلقى بنفسه متهورا إلى الأمام"(٣).

وعلى ضوء ما تقدم يمكن القول بأن الفضيلة تنشأ فى ثلاث مراحل:

١ - مرحلة تكرار نفس الأفعال، فالمرء لن يصير شجاعاً بفطرته وحدها بل

---

(١) الأخلاق، لأرسطو، ترجمة لطفى السيد جـ١ ص٢١٦.
(٢) الأخلاق النظرية، د. عبد الرحمن بدوى ص١٦.
(٣) المرجع السابق ص١٤٩.

لابد بالإضافة إلى ذلك من التعود على الصعب من الأمــور والاسـتعداد للمفاجآت.

٢ - مرحلة توجيه الأفعال والانفعالات نحو الوسط، وهـو وسـط اعتبـارى لاهندسى.

٣ - مرحلة اتخاذ القاعدة التى تعين الوسط لمختلف الناس فى كـل الأحـوال، والمرجع فى ذلك إلى العقل وحده، وفى الأحوال المعقدة يجب الرجوع إلى خبرة الرجل الحكيم لتعين الأوساط العادلة فى الأمور العملية(١).

ويرى أرسطو أن الحكمة هى أسمى الفضائل، لأنها تعبر عن فعل نزيـه حر يقوم به العقل دون أن يقصد من ورائه إلى أية مصلحة عملية، أو أية فـائدة نفعية، وإذا كانت اللذة زائلة، والأمجاد عابـرة، والـثروة مهـددة بالضيـاع، والشهرة متوقفة على الآخرين، فإن الحكمة هى وحدها الفضيلة الباقيـة الكاملـة التى ترقى بالكائن البشرى إلى مستوى الألوهية"(٢).

والحكمة فى نظر أرسطو فيها السعادة الحقيقية، وذلك لأن لكـل موجـود وظيفة يؤديها، وكمال الموجود أو خيره يتحقق فى تمام تأدية وظيفته، والفضيلـة تكون حيث تؤدى قوى الإنسان وظيفتها ولما كان الإنسان يجمع بيـن الشـهوة والعقل، فإن الفضائل صنفان أحدهما يتمثل فى التغذى والحس، والثانى يتمثل فى حياة التأمل العقلى ومن ثم تصبح فضيلة الصنـف الأول فـى السـيطرة علـى الشهوات والأهواء بواسطة العقل، وفضيلة الصنف الثانى فى حياة التأمل وهـى أسمى من الأول بكثير(٣).

---

(١) مراحل الفكر الأخلاقى، د. نجيب بلدى ص٢١.
(٢) المشكلة الخلقية، د. زكريا إبراهيم ص١٤٥.
(٣) الفلسفة الخلقية، د. توفيق الطويل ص٦٦، دروس فى تاريخ الفلسفة، د. يوسف كـرم ص٣٢.

ومن نظرة أرسطو إلى هذه الثنائية فى الإنسان أى الشهوة والعقل فإن الفضائل نوعان:

الأول: فضيلة عقلية: وهذه تستفاد بالتعليم وتحتاج إلى التجربة والممارسة والحكمة العملية لاختيار أنسب الطرق لتحقيق أنسب الغايات وأفضلها.

الثانى: فضيلة خلقية: وهذه تنمو بالتعود، فلابد لهذا النوع من الفضيلة من المران الطويل، فلايكفى كما يقول أرسطو "أن يعلم ماهى بل يلزم على ذلك رياضة النفس على حيازتها واستعمالها أو إيجاد وسيلة أخرى لنصير فضلاء"[١].

فليست الفضيلة طبيعية إذن، ولكن الطبيعى فينا قوى واستعدادات، فالفضائل ليست فينا بفعل الطبع وحده، وليست فينا كذلك ضد إرادة الطبع، ولكن الطبع جعلنا قابلين لها، وأن العادة لتنميها وتتممها فينا، فالفضيلة تكتسب وتتعلم كما يتعلم أى فن بإتيان أفعال مطابقة لكمال ذلك الفن وتفقد الفضيلة بإتيان أفعال مضادة لها[٢]، ومعنى ذلك أننا لا نكتسب الفضائل إلا بعد ممارستنا لها شأنها فى ذلك شأن الفنون جميعها التى لا نتعلمها إلا بممارستها.

فالإنسان يصبح معمارياً بأن يبنى، وموسيقياً بممارسة الموسيقى، ويصبح عادلاً بإقامة العدل، وحكيما بمزاولة الحكمة وشجاعاً باستعمال الشجاعة[٣].

هكذا وضع لنا أرسطو قاعدته الخلقية لتحديد الفضيلة والرذيلة بنظرية الأوساط التى سبق أن تحدثنا عنها، وعلى الرغم من أن هذه النظرية استهوت الفلاسفة المسلمين وخاصة أن بعض النصوص الدينية تحث على الاعتدال والبعد عن الإفراط والتفريط إلا أن هذه النظرية لم تسلم من بعض المآخذ التى وجهت

---

(١) الأخلاق، لأرسطو، ترجمة لطفى السيد جـ١ ص٢١٦.
(٢) دروس فى تاريخ الفلسفة، د. يوسف كرم ص٣٢.
(٣) الأخلاق، لأرسطو، ترجمة لطفى السيد جـ١ ص٢٧٧.

إليها لاسيما فى فكرة الوسط فإن هذا الضابط لايصلح لكل الفضائل فكان من المنتظر أن تكون هذه الفكرة عامة شاملة تنضوى تحت لوائها كل ما يصدر عن الإنسان من الأفعال والانفعالات وأن تخضع جميع الفضائل لهذه النظرية، ولكن الحقيقة أنها غير مضطردة فى جميع الفضائل، لأن منها ماليس وسطاً كالصدق والعدالة مثلاً، إذ الإنسان إما صادق أو كاذب، عادل أو ظالم، ولا وسط بين الطرفين، ثم إن من الأفعال والانفعالات ماهو رذيلة بالذات فلا يحتمل الوسط، بل يعتبر الأخذ منه بطرف ولو كان ضئيلاً رذيلة، وذلك مثل السرقة والزنا والقتل من الأفعال، والحسد والغيرة من الانفعالات(١).

ولعل أهم مأخذ فى فلسفة أرسطو الأخلاقية يتضح من نقد ابن تيمية لفكرة الفضيلة بسبب أنها اعتبارية ولا يجمعها حد جامع واضح يميز تميزاً دقيقاً بين طرفى التفريط والإفراط، لذلك نجد ابن تيمية يوجه سهام نقده إلى رأى فلاسفة اليونان فى النفس فهى عندهم تشتمل علىٰ شهوة وغضب من حيث القوة العملية ولها نظر من حيث القوة العلمية، وأن كمال الشهوة فى العفة وكمال الغضب فى الحلم والشجاعة، وكمال القوة النظرية فى العلم والتوسط فى جميع ذلك بين الإفراط والتفريط هو العدل، فلم يثبتوا خاصية النفس التى هى محبة الله وتوحيده بل ولا عرفوا كمال ذلك، بعبارة أخرى كانت نظرياتهم لا تتصل بالتوحيد والإيمان بالله الذى بنى المسلمون عليه العقيدة والأخلاق، فإن محبة الله وتوحيده هو الغاية التى فيها صلاح النفس بعبادة الله تعالى وحده لاشريك له فلا صلاح للنفس ولا كمال لها إلا فى ذلك(٢).

ولعل أقوى الحجج التى استند إليها شيخ الإسلام فى الطعن فى نظريات الفلاسفة الأخلاقية هى أنها اختيارية وليست ملزمة من جانب، كما أنهم من جانب

---

(١) الفلسفة العامة والأخلاق، د. كمال جعفر.ص١٩٣، ص١٩٤.
(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية جـ٤ ص١٠٥.

آخر ذكروا الفضائل الأربعة للنفس وهـى العفة والحكمة والشـجاعة والعدالـة دون تحديد دقيق لما تحتاج إليه النفس لتحقيق النجاة والسعادة، مكتفين بـالنصح بالالتزام بالتوسط بين الإفراط والتفريط.

أما الدين الإسلامى فقد حدد مقدار ما تحصل به النجاة والسعادة. يقول ابن تيمية "فلا تصلح جميع النفوس وتزكو وتكمل إلا بهذا كما قال تعـالى ﴿وويـل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة﴾ أى لا يؤتون ما تزكوا به نفوسهم من التوحيـد والإيمان وكل من لم يحصل له هذاالإخلاص لم يكن من أهل النجاة والسعادة"[١].

فالنفس ليس لها نجاة ولا سعادة ولا كمال إلا بمحبة الله تعـالى وتوحيـده فهو الغاية التى تؤدى إلى كمال النفس وصلاحها.

وبعد ارسطو ظهرت فى أثينا مدرستان متعاصرتان، ومتعارضتـان همـا المدرسة الأبيقورية والمدرسة الرواقية.

فأما المدرسة الأبيقورية فترى أن أساس الأخلاق اللذة، فاللذة وحدها غاية الإنسان وهى وحدها الخير، والألم وحده هو الشر الذى يفر منه الإنسان ويتجنبه، والفضيلة ليست لها قيمة ذاتية إنما قيمتها فيما تشتمل عليه من اللذة، فمتى تقـرر أن اللذة غاية لزم أن الوسيلة إليها فضيلة[٢].

وقد كان أبيقور مؤسس المدرسة الأبيقورية متفقاً مـع أرسـتب مؤسـس المدرسة القورينائية فى أن الناس ينشدون اللذة كالحيوان سـواء بسـواء بدافـع غريزى لا أثر فيه للتفكير أو التعليم، ولكنه وجد أن اللذة وإن كانت غاية السلوك البشرى إلا أنها أحياناً قد تجر وراءها عواقـب سيئـة، إذ أن الإفـراط فـى

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية جـ٤ ص١٠٦.
(٢) قصة الفلسفة اليونانية، د. أحمد أمين ص٢٥٢.

الشهوات والملذات قد يؤدى إلى عواقب جسيمة وخيمة، ولهذا فمن اللازم اجتناب كل لذة تجر وراءها ألماً، وكذلك تقبل الألم الذى يجلب لذة أعظم(١).

لذلك رفض أبيقور طلب اللذة الحاضرة لمجرد كونها لذة فحسب ونادى بطلب اللذة المستمرة طوال الحياة وذلك باستعمال العقل لتخير أنفع اللذات أى نطلب لذة خالصة دائمة تحقق لنا منفعة طوال الحياة.

ولم يقتصر أبيقور على اللذات الحسية فقط -كما فعل أرستب- بل إنه قد أعلى من شأن اللذات الروحية، ودعا إلى إتباع مطالب الفضيلة، فقد كان يوصى بالقناعة ويعتبرها الفضيلة الأساسية لأنها تحفظ الصحة وتطيل الحياة، وفى الصحة والحياة تتجمع كل وسائل السعادة. أما الصداقة فهى أسمى الفضائل، لأن الصديق يعين صديقه ويحميه ويدفع عنه الظلم والاعتداء، ومن أجل ذلك فمن الخير جمع أكبر عدد من الأصدقاء بقدر الإمكان، كما تعد العدالة فضيلة لأنها تمنع المرء من التعدى على غيره خشية رد الفعل، فالحكيم يرعى العدالة ليضمن لنفسه السلامة من الانتقام، ومن خوف الانتقام، فيعيش فى اطمئنان، وهذا خير ما يطلب(٢).

ومن الواضح أن دعوة الأبيقورية إلى الفضائل لم تكن دعوة حقيقية، لأن الفضائل عندهم لا اعتبار لها إلا إلى الحد الذى يجلب للشخص المنفعة ويكفل الطمأنينة.

وأما المدرسة الرواقية فترى أن الفضيلة لا تتحقق فى اللذة -كما ذهب الأبيقوريون- وانما تكون الفضيلة فى الخير وحده، فلا خير فى الوجود إلا

---

(١) المشكلة الخلقية، د. زكريا إبراهيم ص١٢٢، ص١٢٣.

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية، د. يوسف كرم ص٢١٩، مقدمة فى علم الأخلاق، د. حمدى زقزوق ص٨١.

الفضيلة ولا شر إلا الرذيلة وما عداهما فشئ تافه لا قيمة له، واللذة ليست ذات قيمة، وعلى الإنسان ألا يبحث عن اللذة، فالسعادة الحقة فى الفضيلة والإنسان يجب أن يكون فاضلاً لا للذة ولكن لأنه الواجب[(١)].

ويرى الرواقيون أن الفضيلة هى منطق الإرادة أى التوفيق بين الإرادة والعقل توفيقاً منطقياً محكماً، والفضيلة عندهم لا تتجزأ، فإما فضيلة كاملة وإما لافضيلة، فالإنسان الفاضل هو الحكيم الكامل المتزن الذى لاينظر إلى الأشياء الدنيوية فى قليل ولا كثير من الاهتمام فالفضيلة هى حكمة النفس وعلمها وصبرها وقناعتها وما عدا ذلك فلا قيمة له، ومن حرم الحكمة السامية حرم الفضيلة وإن أتى بأشرف الأعمال وأحسنها فى نظر الناس[(٢)].

والفضيلة على هذا تكمن فى الحكمة -رأس الفضائل- وعنها تصدر كل الفضائل الأخرى، فالشجاعة هى الحكمة فيما يجب احتماله، والعفة هى الحكمة فى اختيار الأشياء، والعدالة هى الحكمة فى توزيع الحقوق.

وترتكز الأخلاق الرواقية على التوحيد بين الفضيلة والسعادة من حيث أن القيمة العليا فى الحياة البشرية كلها إنما هى للسلوك الخير، وأن السعادة لاتخرج عن كونها مجرد وعى أو شعور بهذا السلوك الخير، وتنحصر السعادة عند الرواقيين فى فضائل ثلاث هى ضبط النفس والاكتفاء بالذات والحكمة[(٣)].

وقد اكتسبت هذه الفضائل الثلاث صبغة عقلية وأصبحت الفضيلة عندهم عبارة عن التخلص من الرغبة والتحرر من الانفعال، وواجب الحكيم العمل على اجتناب اللذات والانصراف عن مشاغل العواطف والأهواء والانفعالات،

(١) قصة الفلسفة اليونانية، د. أحمد أمين ص٢٤١.
(٢) تاريخ النظريات الأخلاقية، د. أبوبكر ذكرى ص٥٢.
(٣) المشكلة الخلقية، د. فؤاد زكريا ص١٤٨.

فالحكيم فى نظرهم شخص مثالى معصوم من الخطأ، ومن هنا فقد فقدت الفضيلة على يد الرواقيين كل طابع وجدانى أو عاطفى أو انفعالى، وكأن على الإنسان أن يتحــرر تماما من كل مشاركة فى القيم التى تفيض بها الحياة، خوفـــا مـــن أن تستثير لديه هذه القيم الحيوية بعض الرغبات أو الأهواء أو الانفعالات.

وفات الوراقيين أن الإنسان ليس عقلاً صرفا لا يخضع لأيـــة عاطفـــة أو وجدان بل هو كائن مشخص له أفكاره وعواطفه ورغباتـــه ونوازعـــه وميولـــه واتجاهاته الوجدانية، فهو مزيج من العقل والوجدان والعاطفة، ولا تتحقق سعادته الدنيوية إلا بالموازنة بين هذه العناصر لتتحقق الوسطية بينهمـــا فينتـــج عنهـــا السعادة، وهو المنهج الذى رسمه الإسلام بتشريعه المحـــدد للســـلوك الإنســـانى مستجيبا لدواعى الفطرة فى الإنسان وضابطاً لنوازعها بلا تفريط ولا إفراط[1].

مفهوم الفضيلة فى العصور الوسطى

كان الاتجاه السائد فى القرون الوسطى أن الدين المسيحى قد جاء بالتعاليم الأخلاقية كاملة ولهذا لم يكن للبحث العقلى فى الأخلاق مجال فى تلك القـــرون، فكانت الفضيلة عندهم هى الطاعة التامة والخضوع والاستسلام بلا قيد ولا شرط لتعاليم المسيحية وأقوى ما يدفع الإنسان إلى الفضيلة والخير هو فضيلة الحب أى حب الله وحب الإنسان، فمن حب الإنسان للإنسان ينشأ فـــى قلبـــه الإحســـان، والإحسان أساس الحكمة والشجاعة والعدل، أما حب الله فهو الينبوع الدافق الذى يستقى منه الإنسان حبه لنفسه وحبه للناس على السواء[2].

أما الفضائل الأخرى وبخاصة الفضائل الأربعة الرئيســـية فإنهـــا ترجـــع جميعا إلى الفضيلة الرئيسية وهى حب الله.

---

(١) مقدمة فى علم الأخلاق، د. زقزوق ص٥١، تاريخ النظريات الأخلاقيـــة، د. أبوبكـــر ذكرى ص٥٢.

(٢) قصة الفلسفة الحديثة، د. أحمد أمين جـــ١ ص٩.

مفهوم الفضيلة فى العصر الحديث

تميل تعاليم العصور الحديثة إلى إيثار مذهب أرسطو، إذ جميع تعريفاتهم للفضيلة لاتخرج عن أنها (عادة السير على مبادئ الأدب وإرادة الخير ومجانبة الشر) والبعض يعرفها بأنها (إتباع ما يجب كما يجب بإرادة ثابتة لا تتزعزع).

وقد تطلق الفضيلة على الأعمال الطيبة التى هى ثمرة الفضيلة النفسية فيقال: الصبر فضيلة والشجاعة فضيلة والحلم فضيلة وهكذا[١].

وخلاصة القول أن مفهوم الفضيلة فى العصر الحديث لم يخرج عن مفهومها لدى فلاسفة اليونان، فلم تنقطع الصلة بين النظريات الأخلاقية عند اليونان وبين فلاسفة أوربا المحدثين، فإن ديكارت مثلاً قد ترسم خطى الرواقية وأقر زينون فى اعتباره أن أسمى الخيرات هى ممارسة الفضيلة لأن الفضيلة تتوقف على إرادتنا[٢].

ويمكن القول بأن البحث الأخلاقى فى الفضيلة فى العصر الحديث يكاد يكون مقصوراً على إيضاح النظريات السابقة وعرضها، لذلك فسوف نقتصر على توضيح خصائص المنهج اليونانى فى مفهوم الفضيلة.

مناهج فلاسفة اليونان فى مفهوم الفضيلة

من خلال عرضنا لأهم آراء فلاسفة اليونان فى الفضيلة نستطيع أن نحدد الخصائص العامة المميزة للمنهج اليونانى فى مفهوم الفضيلة.

أولاً: أنه منهج عقلى يعتمد على العقل جملة وتفصيلا فى كل آرائه ونظرياته، فالعقل فيه مصدر المعرفة ومقياس الخير والشر وهو الحكم الفصل

(١) تاريخ النظريات الأخلاقية، د. أبوبكر ذكرى ص٥٣.
(٢) الأخلاق بين الفلسفة وحكماء الإسلام، د. مصطفى حلمى ص٥٩.

فى تحديد الوسائل والغايات.

وقد يكون اعتداد فلاسفة اليونان بالعقل إلى هذا الحد يرجع إلى أمرين:

أ - رد الفعل العنيف المضاد للتيارات المتحررة التى سببها السوفسطائيون والذين اعتبروا الإحساس مصدر المعرفة ومقياس الخير والشر، وكان من أثر ذلك إنكار المفاهيم العامة والحقائق الثابتة مما نتج عنه إهدار القيم الإنسانية والتشكيك فى الأديان.

ب- عدم الاعتقاد بدين إلهى ينير لهم الطريق إلى الكمال الإنسانى ويحميهم من الضلالات العقلية والانحرافات الخلقية.

ثانياً: يعتمد المنهج اليونانى على فكرة الربط بين السعادة والفضيلة باعتبار أن السعادة هى الغاية القصوى التى يسعى إليه الإنسان، والوصول إلى هذه الغاية يكون بالفضائل.

فالسعادة عند سقراط هى غاية للأفعال الإنسانية، وتتحقق لسيطرة العقل على دوافع الشهوة نوازع الهوى، ورفض القول بأن اللذة غاية لأفعالنا كما ذهب السوفسطائيون، والوصول إلى السعادة –فى نظر سقراط– يكون بالفضيلة التى هى العلم والمعرفة.

وقد أخذ أفلاطون عن سقراط فكرته عن السعادة ولكنه كان يرى أن السعادة تقترن بالعدالة وهى تتحقق متى كان المرء فاضلاً.

كذلك أرسطو ربط الفضيلة بالسعادة، واعتبر السعادة غاية قصوى لأفعال الإنسان، وأن خير الإنسان وسعادته فى أن يزاول حياة التأمل والتعقل على أكمل وجه، ومن هذا نرى أن أرسطو قد ربط السعادة بالحكمة، مؤكداً أن الحكمة هى أسمى الفضائل وفيها السعادة الحقيقية.

ثالثاً: يعتمد المنهج الأرسطى خاصة على نظرية الأوساط فى تحديد

الفضائل الإنسانية، وهى نظرية محدودة لايمكن أن تؤخذ على إطلاقها وإلا انقلبت أسمى أنواع الفضائل إلى أشنع أصناف الرذائل، ومن ثم نرى أنها عاجزة عن تحقيق الكمال الإنسانى المنشود.

وعلى ضوء ما تقدم نستطيع أن نقول أن المنهج اليونانى فى الفضيلة لم يكن إلا نتاجاً عقلياً صرفا بعيداً عن التماسك بمنهج دينى يحميه من الانحراف والضلال، ثم هو فوق ذلك محدود باستعدادات ذاتية، ونوازع نفسية، ومؤثرات خارجية، موجودة فى التربية والثقافات الشائعة، والمعتقدات الخاصة والبيئة بما فيها من الانحرافات والعادات والتقاليد.

فالمنهج اليونانى ليس بالمنهج الحق القويم الذى يصلح للإنسان فى كل زمان ومكان والذى يحقق للإنسانية كمالها وسعادتها. فلم يستطيع المنهج اليونانى أن يقدم للإنسانية منهجاً شاملاً متكاملاً يكتنف الإنسان من جميع جوانبه جسداً وروحاً، ووجدانا وعقلاً، فرديا واجتماعيا حتى يحمى الإنسان من الانحراف ويصون الفضيلة من الانهيار ويحفظ القيم من الانحلال والدمار.

يضاف إلى ذلك أن المنهج اليونانى يفتقد صفة الإلزام الذى يحمل الآخرين على اعتناقها والسير عليها عن طواعية ورضى، حتى أن بعض فلاسفتهم -كأبيقور- لم يلتزموا بمذهبهم ولم تكن حياتهم مصداق فلسفتهم، وذلك يرجع إلى عدم التزامهم بدين إلهى.

وبالرغم من كل ذلك فإن من الإنصاف أن نشيد بالجهود المخلصة التى بذلها هؤلاء الفلاسفة، وما كان لها من الأثر الكبير فى انطلاقة الإنسانية إلى البحث والتنقيب عن المنهج الأخلاقى القويم الذى يحقق لها كمالها وسعادتها.

مفهوم الفضيلة فى الإسلام

عنى الإسلام بالفضائل الخلقية، وببيان ما للفضيلة والرذيلة من آثار فى مجرى الحياة العملية، كما وضع المبادئ الخلقية التى يجب على المؤمن الالتزام بها حتى يكون فاضلاً، وقد أثنى الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق فقال تعالى﴿ وإنك لعلى خلق عظيم﴾[1]، ولقد بلغ من عناية الإسلام بالأخلاق ما نراه ماثلاً فى قول النبى صلى الله عليه وسلم "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[2].

وتمثلت تعاليم الإسلام فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة تلك التعاليم التى تدعو إلى الفضائل والنهى عن الرذائل وتجعل سعادة الدنيا والنعيم فى الآخرة جزاء لمن التزم بالفضائل، وتجعل الشقاء فى الدنيا والعذاب فى الآخرة عقوبة لمن ارتكب الرذائل[3].

أما القرآن الكريم ففيه الكثير من الآيات التى تأمر بمكارم الأخلاق وتدعو إلى التمسك بالفضائل الخلقية العظيمة كالصبر والصدق والعدل والإحسان والعفو وكظم الغيظ والإيثار وبر الوالدين وحسن القول واجتناب كثير من الظن، وترك التجسس والغيبة والنميمة والشح والبخل والنفاق والرياء والكذب والاختيال والفخر والغرور.

أما السنة النبوية الشريفة فقد جاءت تحمل كل ما يتعلق بجوانب الحياة الإنسانية بالنسبة للفرد والأسرة والمجتمع والعلاقات التى يمكن أن تقوم بين الأفراد فى داخل المجتمع وبين المجتمع الإسلامى والمجتمعات الأخرى غير الإسلامية، وتشمل من بين ما تتضمنه قواعد الأخلاق والفضائل الخلقية التى

---

(١) سورة القلم- آية ٤.
(٢) أخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده جـ٢ ص٣٨١.
(٣) مقدمة فى علم الأخلاق، د. زقزوق ص٥٢.

ينبغى لكل من الفرد والمجتمع المحافظة عليها والسعى لبلوغها، ونجد ذلك متمثلاً فى أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وفى سلوكه وأفعاله عليه الصلاة والسلام والتى تعتبر منهاجاً كاملاً للحياة الإنسانية كلها.

والفضائل الخلقية فى الإسلام لا تخضع لأحكام المعاوضات لأنها لايمكن أن تخضع للقياس والتقدير، وهى كلها أعمال وتصرفات بلا مقابل أو عوض مادى أو معنوى، فليس للمحسن أن ينتظر الإحسان ممن أحسن إليه بل هو مطالب بالإحسان إلى من أساء إليه، وليس الواصل للرحم بالمكافئ، والمؤمن مطالب بأن يصل من قطعه ويعطى من حرمه ويعفو عمن ظلمه، وفى مجال الصبر ليس للصابر أن يصبر إلا ابتغاء مرضاة الله[١] قال تعالى﴿والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار﴾[٢]، وقوله تعالى﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك من عزم الأمور﴾[٣].

وأخلاق الإسلام تتحقق فى صورتها المثلى حين تتجرد النوايا والسلوك من كل بواعث أو غايات مادية، فالحب فى الله والإخاء والصحبة لله. قال صلى الله عيه وسلم [ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار][٤].

ويهدف الإسلام من هذه التعاليم وأمثالها إقامة مجتمع فاضل تسود فيه الفضائل الخلقية التى لا اختلاف بين العقول على حسنها مثل العدل والصدق

---

(١) الأخلاق فى الإسلام، د. يعقوب المليجى ص٤٨، ص٤٩.
(٢) سورة الرعد- آية ٢٢.
(٣) سورة الشورى- آية ٤٣.
(٤) صحيح البخارى جـ٨ ص١٧، صحيح مسلم جـ١ ص٣٧.

والبر والعفة والشجاعة وتنعدم الرذائل التى لا تختلف العقول على قبحها وذمهـــا مثل الظلم والكذب والجبن والرياء والنفاق.

والمتتبع لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم يجدهما تكفلاً ببيان الطريق المستقيم الذى ينبغى أن يسلكه الإنسان ليكون فاضلاً، فقـــد رســـم القرآن الكريم الطريق العملى لتربية الإنسان الفاضل مخاطباً الفـــرد والمجتمـــع، فإذا كان المجتمع هـــو الأساس الأول الذى يقوم عليه بناء الدولة، فـــإن العنايـــة بالفرد -وهو لبنـــة فى بناء المجتمع- يصبح ضرورياً وأساسياً إذا أردنـــا لهـــذا البناء القوة والمنعة[١].

لذلك حث القرآن الكريم على اقتناء الفضائل والتحلى بها واجتناب الرذائل والتخلى عنها حتى يصل بالإنسانية إلى المستوى الفاضل، فإذا التزم المســـلمون بهذه الأوامر كانوا بحق خير أمة أخرجت للناس قال تعـــالى﴿كنتـــم خـــير أمـــة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾[٢].

وبهذا يكون الإسلام قد اهتم بتربية الفرد والمجتمع، ووضع الأسس لبيـــان الأخلاق من الناحية العملية، ولم يشغل المسلمين بتلك النظريات الفلســـفية فـــى الفضائل الأخلاقية إلى يمكن أن يختلف الناس حولها، وأقام الإســـلام الفضـــائل الأخلاقية على أساس من الأمر الإلهى الذى يجب أن يلتزم به الفرد والجماعة.

ومن هذه الفضائل التى دعا إليها القرآن الكريم ويتميز بها الإسلام مايلى:

١ - فضيلة العدل: قال تعالى﴿إن الله يأمر بالعدل والأحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى﴾[٣]. وقال تعالى﴿يا أيها الذين آمنـــوا

(١) دراسات إسلامية، د. محمد عبد الله دراز ص١٢٧، ص١٢٨.
(٢) سورة آل عمران- آية ١١٠.
(٣) سورة النحل- آية ٩٠.

كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين﴾[١]. فالله سبحانه وتعالى أمر بالعدل للقيمة العظيمة لهذه الفضيلة فى استقرار المجتمعات وسعادة أفرادها.

٢ - فضيلة الصدق: قال تعالى﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾[٢].

٣ - فضيلة الأمانة: قال تعالى﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾[٣].

٤ - فضيلة الصبر: قال تعالى﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا﴾[٤]، وقال تعالى﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾[٥]، ﴿وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة﴾[٦].

٥ - فضيلة التعاون على الخير: قال تعالى﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾[٧].

٦ - فضيلة التواضع وعدم الغرور: قال تعالى﴿ولاتمشى فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً﴾[٨].

٧ - فضيلة الإيثار: قال تعالى﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾[٩].

٨ - فضيلة الرحمة: قال تعالى﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾[١٠].

---

(١) سورة النساء- آية ١٣٥.
(٢) سورة التوبة- آية ١١٩.
(٣) سورة النساء-آية ٥٨.
(٤) سورة آل عمران- آية ٢٠٠.
(٥) سورة العصر- آية ٣.
(٦) سورة البلد- آية ١٧.
(٧) سورة المائدة- آية ٢٠.
(٨) سورة الإسراء- آية ٣٧.
(٩) سورة الحشر- آية ٩.
(١٠) سورة الفتح- آية ٢٩.

وكما حرص القرآن الكريم على ذكر الفضائل ليتحلى بها الإنسان، حرص على بيان الرذائل التى ينبغى أن يتخلى عنها الإنسان كالكذب والخيانة والأثـــرة، وخلف الوعد والجبن وغير ذلك.

١ - رذيلة الكذب: قال تعالى﴿إنما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيـــات اللـــه وأولئك هم الكافرون﴾[١].

٢ - رذيلة الخيانة: قال تعالى﴿إن الله لايحب كل خوان كفور﴾[٢].

٣ - رذيلة النفاق: قال تعالى﴿إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم﴾[٣].

٤ - رذيلة الحسد والطمع فيما عند الغير: قال تعالى﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾[٤]، وقال تعالى﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكـــم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله﴾[٥].

٥ - رذيلـــة الرياء والتظاهر بالتقوى والصلاح: قال تعالى﴿فويـــل للمصليـــن الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون﴾[٦].

٦ - رذيلة الإسراف: قال تعالى﴿وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا إخوان الشـــياطين وكـــان الشـــيطان لربـــه كفورا﴾[٧].

٧ - رذيلة الزنا: قال تعالى﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾[٨].

٨ - رذيلة تعاطى الخمر والخبائث: قال تعالى﴿يأيها الذين آمنوا إنمـــا الخمـــر

---

(١) سورة النحل- آية ١٠٥.
(٢) سورة الحج- آية ٣٨.
(٣) سورة النساء- آية ١٤٠.
(٤) سورة النساء- آية ٥٤.
(٥) سورة النساء- آية ٣٢.
(٦) سورة الماعون- الآيات ٤-٧.
(٧) سورة الإسراء- الآيات ٢٦-٢٧.
(٨) سورة الإسراء- آية ٣٢.

والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشـيطان فـاجتنبوه لعلكـم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فـي الخمـر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾(١).

وبهذا يكون القرآن الكريم قد بين الفضائل الأخلاقية ودعا إلى التحلى بها، ونهى عن الرذائل الأخلاقية، وأمر المؤمنين بالتخلى عنها، وبهذا يكون قد جمـع بين التحليـة والتخلية حتى يكون المؤمن "على خلق عظيم" وأقـام ذلـك علـى أساس مـن الإيمان بالله تعالى، وبهذا ضمن التزام الفرد والجماعة الإسـلامية بكل التعاليم الأخلاقية.

وكما أن القرآن الكريم حث على الفضائل ونهى عن الرذائل. فكذلك السنة النبوية الشريفة دعت إلى مكارم الأخلاق والى الفضـائل الكريمـة مثـل قـول الرسول صلى الله عليه وسلم [أن الصدق يهدى إلى البر، والبر يهـدى إلـى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإن الكذب يهـدى إلـى الفجور والفجور يهدى إلى النار وأن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا](٢).

ومثل قوله صلى الله عليه وسلم [مثل المؤمنين فـي توادهـم وتراحمهـم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضـاء بالسـهر والحمى](٣).

ويقول أيضاً صلى الله عليه وسلم [المسلم من سلم الناس من لسانه ويـده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم](٤).

---

(١) سورة النور- آية ٣٢.
(٢) رواه مسلم فى باب قبح الكذب.
(٣) رواه مسلم فى باب تراحم المؤمنين.
(٤) أخرجه النسائى فى كتاب الإيمان.

ويقول صلى الله عليه وسلم [أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاء وخياركم خياركم لأهله][١].

هذه بعض النصوص الدالة على الفضائل الخلقية فى الإسلام التى جاء بها الرسول الأمين والذى كان صورة عملية لأعظم الصفات الخلقية وأشرفها فاستحق قول الله تعالى﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[٢].

مفهوم الفضيلة عند فلاسفة الأخلاق المسلمين

مما لاشك فيه أن فلاسفة الإسلام تأثروا بآراء فلاسفة اليونان فى الفضيلة، فمنهم من خصصوا جانباً من فلسفاتهم لبحث السعادة والفضيلة، وما يجب أن يسير عليه المرء فى حياته حتى يصل إلى الخير فجاءت أبحاثهم تكسوها النزعة الفلسفية وذلك كالكندى، والفارابى، وابن سينا، وابن رشد من فلاسفة المسلمين، ومنهم من عكف على البحث الأخلاقى بصفة خاصة من بين البحوث الفلسفية وبذلك غلبت عليهم الصبغة الأخلاقية وعرفوا بالميل إلى الجانب الأخلاقى أكثر من غيرهم من فلاسفة المسلمين، ولذا فقد اشتهروا فى تاريخ الفلسفة الإسلامية بأنهم فلاسفة أخلاقيون مثل إخوان الصفا وابن مسكويه، والغزالى، وابن خلدون.

وسوف نخص بالحديث عن الفضيلة فى نظر اثنين من الأخلاقيين الإسلاميين وهما ابن مسكويه، والغزالى.

---

(١) رواه أبو داود والترمذى.
(٢) سورة القلم- آية ٤.

رأى ابن مسكويه فى الفضيلة

يعد ابن مسكويه من فلاسفة الإسلام الذين عنوا عنايـــة خاصـــة بـــالبحث الخلقى، وقد نال كتابه (تهذيب الأخلاق) شهـــرة كبيرة، حـــاول فيـــه أن يمـــزج تعاليم الفلسفة اليونانية بتعاليم الشريعة الإسلامية.

ويرى ابن مسكويه أن كل ماجاء فى الشريعة الإسلامية من شعائر دينيـــة إنما غايته تربية نفوس الناس على الفضائل لتقوية الإخاء العام، ويظهر ذلك فـــى مثل الحج وصلاة الجماعة وفى الحث على محبة الجيران، والشريعة الإســـلامية لو فهمت علىوجهها الصحيح لكانت مذهباً خلقياً أساسه محبة الإنسان للإنسان(١).

وكان ابن مسكويه يعلى من شأن العقل ويعتبره المظهر الكمالى للإنســـان فهو يقول [فالإنسان من بين سائر الموجودات له فعل خاص به لايشـــاركه فيـــه غيره، وهو ماصدر عن قوته المميزة المروية، فكل مـــن كـــان تميـــيزه أصـــح واختياره أفضل كان أكمل فى إنسانيته(٢).

ويرى أن النفس الإنسانية جوهر مفارق لجوهر البدن ومخـــالف لـــه فـــى حقيقته، يختلف مفهومها عن حقيقته وتبعاً لهذا تختلف مطالبها ووظائفها، وهى إن كانت تأخذ بعـــض معارفها من الحواس إلا أنها لها مبادئ شريفة مفارقة للمـــادة لا تأخذها عن طريق الحواس بل عن طريق آخر أرقى هـــو طريـــق المعرفـــة العقلية وهو فضيلتها وبحسب طلب الإنسان لهذه الفضيلة وحرصه عليها يكـــون فضله وهذا الفضل يتزايد بحسب عناية الإنسان بنفسه وانصرافه عـــن الأمـــور العائقة له عن هذا المعنى(٣).

---

(١) تاريخ النظريات الأخلاقية، د. أبو بكر ذكرى ص٣١.
(٢) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ص٩٢.
(٣) المرجع السابق ص٨-١١.

ويحذو ابن مسكويه حذو أفلاطون فى تقسيمه للنفس إلى ثلاث قوى القوة الناطقة ثم القوة الغضبية ثم القوة الشهوانية، ثم يربط بين هذه القوى وبين الفضائل الأساسية: الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة -كما فعل أفلاطون- يقول ابن مسكويه [أجمع الحكماء على أن أجناس الفضائل أربع وهى: الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة، ولهذا لا يفتخر أحد ولا يتباهى إلا بهذه الفضائل فقط، فأما من افتخر بآبائه وأسلافه فلأنهم كانوا على بعض هذه الفضائل أو عليها كلها](١).

والفضائل تصدر عن القوى النفسية فى الإنسان ومقياسها الاعتدال الذى هو الوسط الأخلاقى.

فالقوة الناطقة إذا اعتدلت كان منها الحكمة وهى وسط بين السفه والبله والقوة الغضبية إذا أعتدلت نشأ عنها الشجاعة وهى وسط بين التهور والجبن. والقوة الشهوية إذا اعتدلت نشأ عنها العفة وهى وسط بين الشره والجمود.

ومن تعادل هذه القوى الثلاث وانسجامها تنشأ "العدالة" وهى -فيما يرى ابن مسكويه جماع الفضائل كلها أى أن جميع الفضائل ترجع إليها ولن تشذ عنها، فهى ليست جزءاً من الفضيلة العامة، بل يعتبرها الفضيلة كلها(٢).

ثم يشرع ابن مسكويه فى بيان الفضائل الأربع ومبادئها:

أما الحكمة فهى فضيلة النفس الناطقة المميزة وهى أن تعلم الموجودات كلها من حيث هى موجودة، وإن شئت فقل أن تعلم الأمور الإلهية والأمور الإنسانية ويثمر علمها بذلك أن تعرف المعقولات أيها يجب أن يفعل وأيها يجب أن يغفل.

---

(١) المرجع السابق ص١٧.

(٢) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ص١١٩.

وأما العفة فهى فضيلة النفس الشهوانية وظهور هذه الفضيلة فى الإنسان يكون بأن يصرف شهواته بحسب الرأى، أعنى أن يوافق التمييز الصحيح حتى لاينقاد لها ويصير بذلك حراً غير عبد لشئ من شهواته.

وأما الشجاعة فهى فضيلة النفس الغضبية وتظهر فى الإنسان بحسب انقيادها للنفس الناطقة والمميزة واستعمال ما يوجبه الرأى فى الأمور الهائلة، أعنى أن لايخاف من الأمور المفزعة إذا كان فعلها جميلاً والصبر عليها محموداً.

فأما العدالة فهى فضيلة لقوى النفس تحدث لها من اجتماع هذه الفضائل الثلاث التى عددناها، وذلك عند مسالمة هذه القوى بعضها لبعض واستسلامها للقوة المميزة حتى لاتتغالب ولا تتحرك لنحو مطلوباتها على عموم فطرتها، ويحدث للإنسان بها سمة يختار بها أبدا الإنصاف من نفسه على نفسه أولا ثم الانتصاف من غيره وله[١].

خصائص الفضيلة

للفضيلة خصائص تحدد ماهيتها وتميزها عن غيرها، وهذه الخصائص فيما يرى ابن مسكويه هى أنها ليست طبيعية فينا وانما هى مكتسبة بمعنى أنها تأتينا من الخارج حسب الظروف التى نعيش فيها، فنفس الصبى لا تولد على صورة محدودة معينة، وإنما هى قابلة أن تتشكل حسب ما يحيط بها من الظروف الخارجية وحسب ما تروض عليه من العادات، فالنفس كالشمع تتشكل حسب ما يوضع لها من أساليب المعاملات والتهذيب فهى قابلة للفضيلة والرذيلة فى آن واحد، والذى يقرر لها أحد الاتجاهين هو الظروف الخارجية[٢].

ومن خصائص الفضيلة أيضاً أنها تدفع إلى اللذة والسرور، فكل رجل

(١) تهذيب الأخلاق، ابن مسكويه ص٢١، ص٢٢.
(٢) ابن مسكويه فلسفته الأخلاقية ومصادرها، د. عبد العزيز عزت جـ٢ ص٢٧٨.

فاضل يشعر فى فعل الفضيلة بلذة خاصة أدبية كلذة أصحاب المهن الأخرى كالبناء والموسيقى عندما يجيدون الفهم والتحقيق فى مهنتهم الخاصة، فالرجل الفاضل لايفعل الفضيلة تحت تأثير نوع من الضغط والجبر، وانما يفعلها ويشعر بنوع من الحب لها ونوع من السرور والانجذاب إليها فاللذة متصلة كل الاتصال بالفضيلة ولايمكن أن تنفصل عنها. يقول ابن مسكويه "وليست تظهر لذة السعيد إلا بإبراز فضائله وإظهار حكمته ووضع كفاءته فى مواضعها... سيرة الأفاضل السعداء سيرة لذيذة بنفسها لأن أفعالهم أبداً مختارة وممدوحة وكل إنسان يلتذ بما هو محبوب عندما يلتذ بعدل العادل ويلتذ بحكمة الحكيم فالأفعال الفاضلة والغايات التى ينتهى إليها بالفضائل لذيذة محبوبة"(١).

أما عن أهم خصائصها فهى أنها وسط بين طرفين كلاهما رذيلة، وابن مسكويه يعنى عناية تامة ببيان الوسط الأخلاقى لأن تعيين هذا الوسط أمر صعب عسير، وإذا أمكن تعيينه فإنه من الصعب على الإنسان التمسك به بعد ذلك.

ويعبر ابن مسكويه عن تبنيه لنظرية الأوساط فيقول: "ولما كانت هذه الفضائل أوساطا بين أطراف، وتلك الأطراف هى الرذائل وجب أن تفهم منها... وينبغى أن تفهم من قولنا أن كل فضيلة فهى وسط بين الرذائل ما أنا واصفه... ينبغى أن يفهم معنى الوسط من الفضيلة إذا كانت بين رذائل بعدها منها أقصى البعد، ولهذا إذا انحرفت الفضيلة عن موضعها الخاص بها أدنى انحراف قربت من رذيلة أخرى، ولم تسلم من العيب بحسب قربها من تلك الرذيلة التى تميل إليها، ولهذا صعب، جداً وجود هذا الوسط، ثم التمسك به بعد وجوده أصعب"(٢).

---

(١) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ص ٢٩.
(٢) المرجع السابق، ص٢٤، ص٢٥.

ومن الواضح أن ابن مسكويه فى حديثه عن الفضيلة قد تأثر برأى أرسطو فى أن الفضيلة وسط بين طرفين كلاهما رذيلة، وهو يقرر -مثل أرسـطو- أن الوسـط هنا ليس وسطا حسابيا أو هندسيا وإنما هو وسـط اعتبـارى فحسـب يخضع لمعايير إنسانية ويختلف من إنسان لآخر بل يختلـف بـاختلاف أحـوال الإنسان نفسه.

وقد اهتم ابن مسكويه بتحديد الوسط العدل للفضائل الأساسية. ففيما يتعلق بالحكمة التى هى فضيلة النفس الناطقة (العقل) والتى تنشأ بسبب حسن اسـتخدام العقل فيما ينبغى أن يستخدم فيه، نجد أنها تتوسط السفه والبلاهـة. والمقصـود بالسفه هنا أن يستخدم القوة الفكرية فيما لاينبغى. وكما لاينبغى، كـأن يسـتخدم المرء عقله فى الغش والخداع والسعى إلى إساءة الآخرين، فهذا طرف لاشك أن ما ينتج عنه يعد رذيلة، وفى مقابل هذا الطرف نجد الإنسان "الأبله" ونقصد بـه ذلك المرء الذى يسعى إلى تعطيل قوته الفكرية بإرادته دون أن يحاول تنميتهـا بالتأمل والفكر والنظر.

أما فضيلة العفة فإنها وسط بين الشره من جهة وخمود الشهوة من جهـة أخرى، والشره هو الانغماس والانهماك فى اللذات الحسية المادية، وفى مقـابل هذا الشره نجد من جهة أخرى الخمود أى سكون النفس الشهوانية عن اللذة كلية.

وأما فضيلة الشجاعة فهى وسط بين رذيلة الجبن وبيـن رذيلـة التهـور، والجبن هو خوف المرء فى الوقت الذى ينبغى أن لايخاف فيه وضـده التهـور الذى هو الإقدام حيث لاينبغى للمرء أن يقدم.

وكذلك فضيلة العدالة فهى وسط بين رذيلتين هما الظلم، والانظـلام، أمـا الظلم فهو التوصل إلى كثرة المقتنيات من حيث لاينبغى وكما لاينبغـى، وأمـا الانظلام فهو الاستخذاء (بمعنى العطاء) والاستحانة (بمعنى الاستخراج) والمراد

هو التعبير عن معنى تحمل الظلم فى المقتنيات لمن لاينبغـــى وكمـــا لا ينبغـــى، ولذلك يكون للجائر أموال كثيرة لأنه يتوصل إليها من حيث لايجب، وأما المنظلم فمقتنياته وأمواله يسيرة جداً لأنه يتركها من حيث يجب[١].

شروط الفضيلة

يرى ابن مسكويه أن الفضيلة لاتتحقق إلا بشروط وهى العلم بها والإرادة لها والثبات عليها.

١ - العلــــــــم:

فهو ضرورى لعدم كفاية حالة الفطرة لاكتساب الفضيلة، ومن ثـــم يجـــب على المرء أن يعلم أصول المعارف والمعاملات والتأديبات، وهذا العلـــم يشـــمل علم الشريعـــة الذى يجب أن يتعلم فى أول عهد الإنسان فى طفولتـــــه وصبـــاه، يقول ابن مسكويه "والشريعة هى التى تقَوم الأحداث وتعودهم الأفعال المرضيـــــة وتعد نفوسهم لقبول الحكمة وطلب الفضائل والبلوغ إلى السعادة الإنسية بــــالفكر الصحيح والقياس المستقيم"[٢].

ويشمل العلم كذلك الوقوف على ماهية النفس وحقيقتها وملكاتها ووظيفــــة كل قوة من هذه القوى واتصـــال بعضها ببعض حتى تعمل فى انسجام ولا تطغى إحداها على الأخرى، وأيضاً يجب أن يدعم قوته العاقلة التى يتميز بها عن سائر الكائنات بالتهذيب والتثقيف.

ويشمل العلم أيضاً معرفة الرذائل بأنها أضداد الفضـــائل فيتطهـــر منهـــا الإنسان ويبتعد عنها، أى أنه لابد من التخلى عن الرذائل قبل التحلى بالفضـــائل. يقول ابن مسكويه "أما الفضائل أنفسها فليست تحصل لنا إلا بعد أن نطهر نفوسنا

(١) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ص ٢٨.
(٢) المرجع السابق، ص١٣.

عن الرذائل التى هى أضدادها، فإن الإنسان إذا علم أن هذه الأشياء ليست فضائل بل هى رذائل تجنبها وكره أن يوصف بها، وإذا ظن أنها فضائل لزمها وصارت له عادة"[١].

وأخيراًيشمل العلم تعلم العلوم والوقوف علىسائرأبواب المعارف المختارة، فإن هذا هوالغذاء المناسب للنفس وهو المادة التى تعيش عليها ولا يمكن أن يكون الإنسان فاضلا بالمعنى الصحيح إن لم يهذب نفسه ويروضها بهذه العلوم[٢].

٢ - الإرادة:

لايكون الإنسان فاضلاً إلا إذا كان مريداً مختاراً لما يتصف به من الفضائل، فأفعال الإنسان لايمكن أن تسمى خيرة ولا فاضلة إن لم تصدر عن إرادة واختيار، ولعل هذا الشرط يمثل أهمية كبرى فى نظر ابن مسكويه لأنه يعلق على الإرادة كل مصير الإنسان الروحى من ملكات وقوى وقيم أدبية بل هى أساس المسئولية والجزاء، فالإنسان لايمكن أن يحكم عليه بأنه خير أو شرير إلا بمقدار ما للإرادة من مساهمة وسعى فى إقرار أو منع ما يتفق وحقيقة الإنسان الخاصة باعتباره كائنا عاقلاً فالإرادة شرط أساسى من شروط الفضيلة.

يقول ابن مسكويه "الخيرات هى الأمور التى تحصل للإنسان بإرادته وسعيه فى الأمور التى لها أوجد الإنسان ومن أجلها خلق، والشرور هى الأمور التى تعوقه عن هذه الخيرات بإرادته وسعيه أو كسله وانصرافه"[٣].

٣ - الثبات:

ويقصد به أن تكون الفضيلة عادة لصاحبها ففعل الفضيلة مرة واحدة

(١) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ص١٢.
(٢) المرجع السابق، ص١٢.
(٣) المرجع السابق، ص١٤.

لايجعل الإنسان فاضلاً بل لابد له من تكرار ذلك، ولهذا نرى ابن مسكويه يلجأ إلى العادة كوسيلة لغرس الفضائل وبثها فى النفوس وذلك بتربية الأحداث وتنشئتهم على الفضيلة والتأدب بها لتنطبع نفوسهم عليها.

والثبات هو العنصر الأساسى الذى يجعل الرجل الفاضل سعيداً بحق لأن حياة الفضيلة أصبحت له سنة يصعب أن ينفصل عنها فيشعر بلذة الفضيلة ونعمة احترامها فى معاملاته مع غيره.

والثبات هذا أو العادة متمم للإرادة فلا يكفى أن يريد الإنسان الخير بل ينبغى أن يفعله كثيرا ويردده حتى تصبح فيه إرادة الخير سجية وخلقا وإلا لم تكن إرادته خيرة فاضلة بالمعنى الصحيح فى الأخلاق.

ويرى ابن مسكويه كذلك أن قوة الإرادة ترتكز على العادة فكلما قويت عادة فعل الفضيلة كلما تأكدت فى النفس إرادته للخير والإرادة لا تضعف إلا بضعف عادة إتباع الفضيلة[١].

وبهذه الشروط: العلم، والإرادة، والثبات تتحقق الفضيلة الكاملة للإنسان فلا تنال منه الأحداث ولا يفزع من نوائب الدهر، ولا يجزع لتصاريف القدر، ولا يحزن على فقد محبوب ولا يتحسر على فوت مطلوب وهى -كما يرى ابن مسكويه- المرتبة التى من وصل إليها فقد وصل إلىٰ آخر السعادات وأقصاها.

هكذا ربط ابن مسكويه السعادة بالفضيلة إلا أن السعادة لاتكون فى الفضيلة وحدها كما هو رأى سقراط، بل السعادة على الإطلاق تكون عنده بالجمع بين جزئى الحكمة النظرى والعملى، فبالجزء النظرى يمكن تحصيل الآراء الصحيحة والعلوم التى تنتهى بالعلم الإلهى، والتى إذا حصل عليها الإنسان ذهبت حيرته

(١) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ص١٤.

وسكن قلبه، وظهر له الحق، فكانت لذته بذلك لاتعد لها لذة، وبـــالجزء العملـــى يمكن تحصيل الهيئة الفاضلة التـــى تصدر عنها الأفعال الجميلة، فإذا أمكن للمرء أن يحصل لنفسه هذين الكمالين، أو الجزأين من الحكمة فقد اســـتحق أن يســـمى فيلسوفا، وقد سعد السعادة التامة(١).

يقول ابن مسكويه "وبهذين الأمرين (أى بجزئى الحكمة النظرى والعملى) بعث الله الأنبياء صلوات الله عليهم ليحملوا الناس عليها)، وذلك بـــأن الشـــريعة وهى من عند الله تعالى لا تأمر إلا بالخير وإلا بالأشياء التـــى تفعـــل الســـعادة وبالجملة تأمر بجميع الفضائل وتنهى عن جميع الرذائل(٢).

ويرفض ابن مسكويه الرأى القائل أن سعادة الإنســـان القصـــوى وخـــيره المطلق فى اللذات الجسمية، فهذا رأى العامة وجهال الناس.

والسعيد التام فى نظر ابن مسكويه هو الذى توفر له حظه من الحكمة فهو مقيم بروحانيته مع الملأ الأعلى "لايفعل إلا ما أراده الله منه ولا يختـــار إلا مـــا يقربه إليه، ولا يخالفه إلى شئ من شهواته الرديئة، ولا ينخدع بخدائع الطبيعـــة، ولا يلتفت إلى شئ يعوقه عن سعادته"(٣).

وهذه السعادة تنالها النفس متى فارقت البدن، وصار لها وجود آخر أشرف من الوجود الإنسانى فـــى هذه الدنيا، فحينئذ تـــدرك نفســـه أن هـــذه الســـعادة الأخروية لا تعادلها سعادة أخرى.

وهكذا نجد أن ابن مسكويه -رغم تأثره بآراء فلاسفة اليونان- قـــد ربـــط السعادة فى النهاية بفعل كل ما يرضى الله وترك كل ما يغضبه.

---

(١) تاريخ الأخلاق، د. يوسف موسى ص ١٨٦.
(٢) فلسفة الأخلاق فى الإسلام، د. يوسف موسى ص٩٦.
(٣) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ص٨٧، ص٨٨.

منهج ابن مسكويه فى مفهوم الفضيلة

على ضوء ما تقدم نستطيع أن نقول أن ابن مسكويه قد تأثر إلى حد كبير بآراء فلاسفة اليونان، فقد تأثر برأى سقراط فى السعادة وأنها لاتكون فى الفضيلة وحدها وإنما تكون فى الحكمة، كما تأثر بآراء أفلاطون فى تحليله لقوى النفس الثلاث، وكذلك فى تحديده لأصول الفضائل الأربع وهى الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة، وأيضاً تأثر بآراء أرسطو فى الفضيلة وبخاصة نظرية الأوساط وأن الفضيلة وسط بين طرفين كلاهما رذيلة، وعلى الرغم من تأثر ابن مسكويه بغيره من الفلاسفة إلا أنه قد مزج كل ذلك بتعاليم الشريعة الإسلامية وآدابها فكان له فكره الخاص ومنهجه المميز، ومن هنا يمكننا أن نحدد الخصائص المميزة لمنهجه فى الفضيلة وهى:

أولا: تعد النزعة الفلسفية هى الطابع العام المميز لمذهب ومنهج ابن مسكويه ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى سعة إطلاعه وثقابة ذهنه ومدى تأثره الواضح بفلاسفة اليونان وخاصة المعلم الأول أرسطو يضاف إلى ذلك أنه حاول أن يقيم مذهبه الأخلاقى على أساس من الشريعة والفلسفة ومع ذلك كانت النصوص الدينية التى أتى بها نذراً يسيرا بالنسبة إلى ما نقله عن أرسطو وغيره من الفلاسفة لذلك غلبت عليه النزعة الفلسفية على النزعة الدينية مما دفع الأستاذ "ديبور" إلى القول بأن ابن مسكويه "لم يفلح فى التوفيق بين النظريات اليونانية وبين أحكام الشريعة الإسلامية"(١).

ومع أن النزعة الفلسفية قد طغت على مذهبه إلا أنه لم ينحرف عن الدين ولم يبتعد عن العقيدة الإسلامية ويظهر ذلك بوضوح فى موقفه من السعادة الأخروية.

ثانياً: اهتم ابن مسكويه بالنفس الإنسانية وقواها الثلاث الناطقة والغضبية

(١) تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص٢٤٣.

والشهوانية وكيفية صدور الفضائل عنها ثم ربط بين قوى النفس وبين الفضائل الأساسية الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة.

ثالثاً: حاول التوفيق بين النظر والعمل، فهو لم يقف بمنهجه عند حد الفلسفة العملية بل جمع بينها وبين الفلسفة النظرية، فكما أن الفلسفة العملية تمكن الإنسان من تحصيل الهيئة الفاضلة التى تصدر عنها الأفعال الجميلة فكذلك الفلسفة النظرية تمكن الإنسان من تحصيل الآراء الصحيحة ومعرفة الحقائق والعلوم، فإذا أمكن للإنسان أن يجمع بينهما فقد وصل إلى كمال الإنسانية وسعد السعادة القصوى.

رابعاً: ربط ابن مسكويه السعادة بالفضيلة، والوصول إلى هذه السعادة هو غاية الوجود الإنساني، وأن الطريق إليها هو السلوك الفاضل وليست السعادة فى اللذات الجسمية، إنما تتحقق السعادة فى بلوغ الإنسان درجة الكمال العقلى، وفى التزامه بتعاليم الشريعة الإسلامية.

خامساً: اعتمد ابن مسكويه فى منهجه فى الفضيلة على نظرية الوسطية الأرسطية -وإن كان صبغها بصبغة إسلامية- وساعده على هذا ما جاء فى النصوص الدينية من الحث على الاعتدال والتوسط فى كل شئ مثل قوله تعالى﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾(١)، وكقوله تعالى﴿كلوا وشربوا ولا تسرفوا﴾(٢).

والواقع أن الوسطية ليست كافية فى تحديد الفضائل الإنسانية لأن كثيراً من الأمور لا وسط لها فليس هناك إلا الصدق والكذب ولا وسط بينهما، والعدل والظلم والحق والباطل...الخ.

وبنظرة فاحصة فى النصوص الدينية نجدها تقرر العفو والصفح والإحسان

---

(١) سورة الإسراء- آية ٢٩.

(٢) سورة الأعراف- آية ٣١.

والإيثار وهى كلها فضائل تتجاوز عن حد الوسط ففضيلة الإيثار مثــلا أسـمى فضيلــة إنسانية، ولكنها تعتبر بمقياس الوسطية الأرسطية رذيلـــة مــن أشــنع الرذائل لأنها تخرج عن الوسط المطلوب، بينما فى الحقيقة والواقع هى زيادة فى الفضيلة.

وكذلك الكرم نجده مرتبطاً بحال المنفق ومقدار ما يملكه من مـــال وبمـــا يتطلب الموقف من البذل والعطاء، فلو جاز للإنسان أن يطلــب المزيــد مـــن فضيلة الكرم فقد تجاوز حد الوسط –فى نظر ابن مسكويه– وانتقل إلى الرذيلـــة وهى السرف والتبذير، إلا أن زيادة الكرم لايكون إلا زيادة فى الفضيلة.

ومجمل القول أن نظرية الوسط ليست مطردة ولا تؤخذ علـــى إطلاقهـــا كمقياس ثابت فى تحديد الفضائل الإنسانية وإلا انقلبت أسمى الفضائل إلى أشــنع الرذائل لأن كثيراً من الأمور لا وســط لها، ومن ثم فهذه النظرية قاصرة عـــن أن ترقى بالإنسان إلى الكمال المنشود.

وعلى ضوء هذا كله نستطيع القول بأن ابن مسكويه له ســـماته الخاصـــة ومنهجه المميز فهو وإن تأثر كثيراً بغيره من الفلاسفة إلا أنه قد مزج كل ذلـــك بفكره وصبغه بالصبغة الدينية، فهو ينتخب من الآراء ما يتفق مع فكره ويتـــلاءم مع مذهبه، فهو لهذا كله يعد من الفلاسفة الإسلاميين الذين لهم مكانة سامية ومقام مرموق فى علم الأخلاق.

يقول "ديبور": "خلف ابن مسكويه مذهباً فلسفيا فى الأخلاق لايزال له شأن فى الشرق إلى يومنا هذا"[١].

---

(١) تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص٢٣٩.

رأى الغزالى فى الفضيلة

يعد الإمام الغزالى من أكبر علماء الأخلاق فى الإسلام، فهو قد جمع فـى كتاباته بين عناصر الفلسفة الأخلاقية المعروفة عند اليونان وعناصر الفضائل الدينية الإسلامية وثمرات التجربة الصوفية[١]. ويعتبر كتاب (إحياء علوم الدين) من أهم كتبه على الإطلاق فهو يتضمن معظم آرائه، ويمكننا أن نستقى منه مذهبه ومنهجه فى الفضيلة.

يرى الغزالى أن الشرع هو المقياس الحقيقى الذى يعرف به الخير والشر والحسن والقبح، ولكنه مع ذلك لم يهمل العقل إهمالاً تاماً، بل إنه يضم العقل إلى الشرع وهو يصرح (بأن الداعى إلى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفى بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور)[٢].

لذلك اعتمد الغزالى كثيراً على العقل واعتبر المنهج الذى يعتمد على العقل والشرع معاً هو المنهج السوى.

ويرى أن النفس الإنسانية جوهر مجرد عن المادة، وأنها تنقسم إلى عقل نظرى به تكتسب العلوم والمعارف وتدرك الحقائق المختلفة التى بها تشرف النفس وتستكمل، والى عقل عملى به يدرك المرء الخيرات فى الأعمال ويسوس نفسه وأهل منزله وبلده.

والغزالىحين يذكرقوى النفس نراه متأثراً بابن مسكويه ومن قبل بأفلاطون وأرسطو، فهو يقسم النفس مثلهم إلى ثلاث قوى وهى:القوى العاقلة، والقوة الشهوية والقوة الغضبية، ويجعل لكل قوة من هذه القوى فضيلة خاصة بها[٣].

---

(١) مبادئ الفلسفة والأخلاق، د. عبد الهادى أبو ريده ص٢٤١.
(٢) إحياء علوم الدين جـ٢ ص١٤.
(٣) الإحياء، جـ٣ ص٥٤.

والفضيلة –فى نظر الغزالى–هيئة النفس الداخلية وصورتها الباطنية وهى تتنوع إلى نوعين:

الأول:فضيلة عقلية نظرية، وهى جودة الذهن والتمييز بين طريقى السعادة والشقاوة.

الثانى: فضيلة نفسية عملية، وهى الهيئة النفسية التى تصدر عنها الفضائل بغير فكر ولا روية وتسمى "حسن الخلق".

ويرى الغزالى أن الفضيلة تحصل تارة بالفطرة وطوراً بالاعتياد، ومرة بالتعليم ومن تضافرت فى حقه الجهات الثلاث فهو فى غاية الفضيلة، ومن انعدمت فيه كان فى غاية الرذيلة(١).

ولقد جعل الغزالى أصول الفضائل أربع وهى الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة وهو فى ذلك لم يبعد عن رأى أفلاطون فى أصول الفضائل الأربع، وكذلك رأى ابن مسكويه، بل إنه ليرى رأى أفلاطون فى العدالة كما فعل ابن مسكويه أيضاً عندما يقول إنها جماع كل فضيلة، كما أن الجور جماع كل رذيلة، وعلى هذا لاتكون العدالة واحدة من الفضائل الأربع، بل تكون جملتها معا(٢).

والعدالة تنشأ عن طريق التناسب والتوازن بين قوى النفس الثلاث: القوة العاقلة، والقوة الغضبية، والقوة الشهوية، والنفس تنال كمالها إذا اعتدلت قواها فلم تجنح إلى الإفراط أو التفريط، ولا يتأتى ذلك إلا بسيادة القوة العاقلة على القوتين أى القوة الغضبية والقوة الشهوية(٣).

وجميع الفضائل تصدر عن الأصول الأربعة التى تحصل من اعتدال

---

(١) ميزان العمل ص ٤٤، ص٤٥.
(٢) فلسفة الأخلاق فى الإسلام ص١٥٣.
(٣) مبادئ الفلسفة والأخلاق، د. عبد الهادى أبو ريدة ص٢٤١.

القوى النفسية، كما أن جميع الرذائل تحصل من انحرافها بالإفراط أو التفريط وبيان ذلك:

أولاً: باعتدال القوة العقلية يكون حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الرأى ومن إفراطها: ينشأ المكر والخداع والدهاء.

ثانيا: باعتدال القوة الغضبية تحصل الشجاعة ومنها الكرم والنجدة والصبر وكظم الغيظ.

ومن إفراطها: يكون التهور ويصدر عنه البذخ والكبر والعجب. ومن تفريطها: تكون المهانة والذلة والجزع وصغر النفس.

ثالثاً: باعتدال قوة الشهوة تحصل العفة ومنها السخاء والحياء والقناعة ومن إفراطها يكون الشرة والوقاحة والخبث.

ومن تفريطها يكون الخمود والتقتير والحرص(١).

يتضح مما سبق أن الغزالى يجعل الفضيلة وسطا بين طرفين، لأن كلا طرفى قصد الأمور ذميم(٢)، وهو هنا متأثر بنظرية أرسطو فى أن الفضيلة وسط بين طرفين كلاهما رذيلة، غير أن حجة الإسلام يضفى عليها روح الإسلام فيستمد من النصوص الدينية ما يسعفه ويعضد مذهبه مثل قوله تعالى ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾(٣)، ولكن إذا كان أرسطو قد أحال تحديد الوسط العادل إلى العقل، والى خبرة الرجل الحكيم، فإن الغزالى يرى أن تحديد الوسط وحد الاعتدال من اختصاص العقل والشرع معاً.

يقول الغزالى "ولما كان الوسط الحقيقى بين الطرفين فى غاية الغموض بل هو أدق من الشعر وأحد من السيف فلا جرم أن من استوى على هذا الصراط

---

(١) الإحياء، جـ٣ ص٥٤، ص٥٥.
(٢) الإحياء، جـ٣ ص٥٧.
(٣) سورة الفرقان- آية ٦٧.

المستقيم فى الدنيا، جاز على مثل هذا الصراط فى الآخرة، وقلما ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم، أعنى الوسط... ولأجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد أن يدعو الله تعالى فى كل يوم سبع عشرة مرة فى قوله ﴿اهدنا صراط المستقيم﴾ إذ وجب قراءة الفاتحة فى كل ركعة"(١).

بيان الفضائل الأربع وما يندرج تحتها

فضيلة الحكمة:

ويعنى بها الغزالى حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ فى جميع الأفعال الاختيارية، وهى فضيلة النفس الناطقة وإذا اعتدلت فهى وسط بين الخبث والبله، ويندرج تحت فضيلة الحكمة حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الرأى، وصواب الظن والتفطن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس(٢).

فضيلة الشجاعة:

وهى فضيلة القوة الغضبية وهى كون قوة الغضب منقادة للعقل فى إقدامها وإحجامها بمعنى وقوع القوة الغضبية تحت سيطرة وأوامر القوة العقلية وتكون قوة الغضب منقادة للعقل، ويندرج تحت هذه الفضيلة الكرم والنجدة والحلم وكظم الغيظ والثبات والنبل والشهامة وهى وسط بين التهور والجبن.

فضيلة العفة:

وهى تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع وهى فضيلة القوة الشهوية إذا اعتدلت فهى وسط بين طرفين مرذولين وهما: الشره، والجمود، وهذه الفضيلة يندرج تحتها الحياء والخجل، والصبر، والمسامحة، والقناعة، والانتظام، وحسن الهيئة(٣).

---

(١) الإحياء، جـ٣ ص٦٥، ص٦٦.
(٢) الإحياء، جـ٣ ص٥٤، ميزان العمل ص٥٤.
(٣) الإحياء، جـ٣ ص٥٥.

فضيلة العدل:

يرى الغزالى أنه حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى الحكمة وتضبطها فى الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها، وهذه الفضيلة تنشأ من انسجام القوى الثلاث العقلية والشهوانية والغضبية وانتظامها وخضوعها لما تأمر به القوة العاقلة بحيث لاتسير حسبما اتفق، بل تكون منقادة للعقل، فالعدالة جماع الفضائل كلها وهى الفضيلة العامة التى يعبر عنها بحسن الخلق، وهى وسط بين الإفراط والتفريط وهى اعتدال بين طرفين كلاهما مذموم، ومعيار الاعتدال -فى نظر الغزالى- هو الشرع والعقل معاً(١).

<u>أقسام الفضيلة</u>

يقسم الغزالى الفضائل إلى سلبية وإيجابية، فمثلاً الأمل فضيلة إيجابية لأنه يحمل صاحبه على العمل فى سبيل الحياة.

وهناك فضائل سلبية كالزهد لأنه يجعل صاحبه راضياً بما قد يكون عليه من سوء الحال.

وهناك أيضاً فضائل فردية كالقناعة لأنها تخص صاحبها بالذات وفضائل اجتماعية كالأمانة لأن الإنسان يحتاج إليها حين يعامل الناس(٢).

ويعنى الغزالى بالفضائل الفردية ويفرد لها الكثير من مؤلفاته، وعن طريق هذه الفضائل يستطيع الإنسان أن يصل إلى الخير الأعلى والسعادة القصوى. فيقول "وكل من جمع كمال هذه الأخلاق استحق أن يكون بين الخلق ملكاً

---

(١) الإحياء، جـ٣ ص٥٤، ص٥٥، ميزان العمل، ص٥٤.
(٢) الأخلاق عند الغزالى، زكى مبارك ص١٢٨، ض١٢٩.

مطاعاً يرجع الخلق كلهم إليه، ويقتدون به فى جميع الأفعال"[١]. وطريق تهذيب الخلق واكتساب الفضائل يكون بالمجاهدة والرياضة، ويعنى بها حمل النفس على الأعمال التى يقتضيها الخلق المطلوب.

السعادة والفضيلة

يرى الغزالى أن السعادة الحقيقية ليست فى اللذة أو اللذات التى يصبو إليها الجهال ومحدودى النظر وإنما فى السعادة الأخروية التى هى بقاء لافناء له وسرور لاغم فيه وعلم لا جهل معه وغنى لافقر يخالطه، وهذه هى السعادة الحقيقية[٢]. ويحذو الغزالى حذو ابن مسكويه فى أن السعادة الأخروية لاتعادلها سعادة أخرى.

والطريق للحصول على هذه السعادة يتمثل فى العمل والعلم، (لأن تأثير العمل إزالة مالا ينبغى، والسعى فى العلم سعى فى تحصيل ما ينبغى، وإزالة مالاينبغى شرط لتفريغ المحل -أى النفس- لما ينبغى)[٣].

فالعمل يطهر النفس، ويزيل عنها مالا ينبغى أن يسود عليها من الشهوات التى تزين لها حب الدنيا وزينتها، فتعوقها عن الوصول إلى غايتها من الكمال.

فالعمل شرط للسعادة لأن المراد به تحصيل الفضائل وكسر الشهوات فلا تشغل بها النفس عن التطلع للناحية العالية الإلهية.

والعلم هو الشرط الثانى لأن به يحصل للنفس الكمال فتكون أهلاً لفيض رحمة الله عليها فيضاً تنتقش به فى النفس الحقائق الإلهية، وفيضان هذه الرحمة

(١) الإحياء، جـ٣ ص٥٥.
(٢) ميزان العمل، ص٣٠٤، ص٣٠٥.
(٣) المرجع السابق، ص٦٥.

من الله على النفس غاية المطلوب وهى عين السعادة التى للنفس بعد الموت(١).

منهج الغزالى فى مفهوم الفضيلة

اتخذ الغزالى من العقيدة الدينية أساساً لمنهجه بل أن هـذه العقيـدة هـى المحور الأصيل الذى تدور عليه فلسفته الأخلاقية، وتصدر عنها شـتى أفكـاره وآرائه ونظرياته، لذلك فقد اهتم بالتربية الصوفية القائمة علـى النظـر العقلـى والارتياض الروحى والتى تعنى بتهذيب الملكـات والغايـات وتنميـة الدوافـع الإنسانية والاستعلاء بالغرائز والتسامى بها إلى غاية نبيلة، وبذلك يتـم تطهيـر النفس من أدرانها وشوائبها وتخليها عن الرذائل وتحليهـا بالفضـائل، ويمكـن توضيح الخصائص والسمات المميزة لمنهج الغزالى فى الفضيلة فيما يلى:

أولاً: اعتمد الغزالى على البحث العقلى والنظر الفكرى والارتياض الروحى فهذا منطلق مذهبه ومسار منهجه، لذلك اتخـذ العقل والشـرع معـا مقياسـاً للأخلاق، ولا غنى لاحدهما عن الآخر واعتبر المنهج الذى يعتمـد علـى العقل والشرع هو المنهج السوى.

كما تحدث الغزالى عن فضائل الصبر والفقر والجوع والزهد وغير ذلـك مما يعتبر فضائل سلبية، ويهدف من ذلك بيان الطريق فى مجاهدة النفـس وتزكيتها وتطهيرها من الأدران والشوائب وكسر الشهوات، وكل ذلك بناء للإنسان فى ذاته وهو بالتالى صلاح للمجتمع فى كيانه.

ثالثاً: ربط السعادة بالفضيلة، واعتبر السعادة الحقيقية هى السعادة الأخروية وهى غاية الغايات، والطريق للحصول على هذه السعادة يتمثل فى العمل والعلم، والمراد بالعمل هو تحصيل الفضائل وتهذيب الخلق، والمراد بـالعلم هـو إدراك الحقائق الإلهية فيحصل للنفس الكمال وهذا غاية المطلوب وهو غير السعـادة.

---

(١) ميزان العمل، ص٣٣.

رابعاً: اهتم الغزالى بنظرية الوسط وجعل تحديد الوسط ومعيار الاعتــدال فــى تحقيق الفضائل من اختصاص الشرع والعقل معاً، لأن الشرع هو المقياس الحقيقى لمعرفة الخير والشر والحسن والقبح، كمـا أن العقـل الصريــح لايخالف الشرع الصحيح.

ويجب أن نشير هنا إلى أن الغزالى قد تأثر فى نظرية الوسط بالإسلام فقد اعتنى الإسلام بالوسطية والاعتدال فى جميع أمور الحياة، وهذا ما شجع الغزالى على أن يأخذ من أرسطو الآراء التى لاتتعارض مع الدين الإسلامى.

وقد سبق بيان أوجه قصور هذه النظرية عند الحديث عــن منهــج ابــن مسكويه فى الفضيلة وأنها ليست مطردة لأن هناك بعض الفضائل التى تتجــاوز حد الوسط كالكرم والإيثار، وهناك كثير من الأمور لا وســط لهــا كــالعدل والصدق والحق وغيرها، ومن ثم فهى لا تحقق الكمال الإنسانى المنشود.

وعلى ضوء ما تقدم نستطيع القول أن المذهب العام الذى يتميز به منهــج الغزالى هو المذهب الإسلامى وليس ذلك يرجع إلى إكثاره من النصوص الدينية فحسب وإنما يرجع إلى الأفكار والنظريات الإسلامية التى جاء بها وصدر عنها، وهو وإن تأثر بغيره من الفلاسفة السابقين وأخذ عنهم كثيراً من الآراء والأفكــار إلا أنه قد صهر كل ذلك فى بوتقة فكره العميق وأخرج لنا مذهباً خاصاً به يتميز بخصائص بارزة تميزه عن بقية المذاهب الأخرى.

خصائص المنهج الإسلامى

ذهب فلاسفة اليونان -كما سبق- إلى القول بأن العقل البشرى هو مصدر المعرفة ومقياس الخير والشر والفضيلة والرذيلة، وقد نتج عن هــذا القــول أن ذهب كل فرد فى تفسير الخير والشر وإدراك الفضيلة والرذيلة مذهباً يناسب هواه ويتفق ومآربه، وكان نتيجة ذلك اختلاف الآراء والمذاهب فى مفهوم الخير والشر

والفضيلة والرذيلة، ومن ثم اختلاف المناهج وتعددها.

إذن فإن العقل البشرى وحده لايصلح أن يكون مصدراً للمعرفة ولا مقياساً للخير والشر والفضيلة والرذيلة ولاضابطاً لها، فهو قاصر عن تحديد الضابط لكل الفضائل والرذائل، كما أنه قاصر عن تحقيق السعادة والكمال للإنسان؛

أما المنهج الإسلامى فهو منهج يعتمد على الدين والوحى السماوى وقائم على أساس التعاليم الإسلامية المستمدة من الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة، وهو مع ذلك لم يهمل العقل بل يجعل العقل مع الشرع كمقياس للأخلاق فهو منهج عقلى أساسه الدين، وهذا هو ما سار عليه فلاسفة الأخلاق فى الإسلام.

والمنهج الإسلامى لأنه يقوم على الوحى السماوى والأمر الإلهى ففيه صفة الإلزام لأن الدين الإسلامى حين يقدم لنا مبادئه المتمثلة فى الدعوة إلى الفضائل والتحلى بها واجتناب الرذائل والتخلى عنها يقدمها على أنها أمر واجب الطاعة وواجب الالتزام، لأن الالتزام بها يحقق للإنسان سعادته فى الدنيا والآخرة، والتقصير فى تطبيقها على الوجه الذى خطه الوحى الإلهى يبعدها عن حقيقتها ويفقدها فاعليتها فى تحقيق ما تهدف إليه من إسعاد الإنسان فى دنياه وآخرته.

والمنهج الإسلامى منهج عملى لأن الدين الإسلامى حين يدعو إلى الفضائل والى القيم الأخلاقية لايكتفى بالدعوة إليها بل يضيف إليها إمكان تطبيقها، ولقد كان تطبيقها الأعظم ممثلاً فى أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى وصفه الله بقوله تعالى ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾(١)، وقوله تعالى ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾(٢). فهو

(١) سورة القلم- آية ٤.

(٢) سورة الأحزاب- آية ٢١.

صلى الله عيه وسلم كان مثالاً للسلوك الإنسانى الرفيع وجماعا للفضائل الإنسانية العظيمة.

لذلك فإن المنهج الإسلامى أفضل المناهج لأنه منهج متكامل يكتنف الإنسان فى جميع جوانبه جسداً وروحاً وعقلاً ووجداناً ويحقق التوازن بين متطلبات الجسد وحاجات الروح فهو يحمى الإنسان من الانحراف ويصون الفضيلة ويحفظ القيم من الانحلال والضلال.

كما أنه منهج يتصف بالعموم والشمول لكل البشر فهو عام لايخص إقليما دون إقليم وليس للعرب وحدهم ولكنه للناس جميعاً، لأن الدين الإسلامى قائم على الفضيلة وعلى أساس الخلق الفاضل، وهذا يعم العالم كله، ولا يخص جنساً أو لونا أو أرضاً معينة فهو جامع لمعانى الفضيلة التى تتفق اتفاقاً تاما وماهية وحقيقة وحاجات الإنسان وتواؤم بين الفرد والمجتمع.

كذلك المنهج الإسلامى صالح لكل العصور فكما قامت عليه مجتمعات فاضلة فى القديم من الزمن، كذلك تقوم عليه أصلح المجتمعات فى العصور المستقبلة. لأنه منهج ثابت يدعو إلى فضائل ثابتة بثبات العقيدة الإسلامية، المنزلة من الله تعالى.

وأهم ما يميز المنهج الإسلامى اتجاهه إلى تحقيق غايات وأهداف معنوية، فهو يحث الفرد على الارتفاع بنفسه إلى ما ينبغى لها من سمو وكمال يحقق خيرها وأمنها الداخلى فتتحقق له السعادة فى الدنيا والآخرة.

وبهذه السمات يسمو المنهج الإسلامى على المناهج السابقة والنظريات القديمة، لأنه منهج مصدره الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة.

الجانب التطبيقى للفضائل الخلقية

هناك الكثير من الفضائل الخلقية التى حث عليها الإسلام وتحدث عن أهميتها فى تهذيب سلوك الإنسان وتكميل شخصيته، وسوف نقدم دراسة لبعض الفضائل التى تعد أصولاً لغيرها من الفضائل وهى الحكمة والشجاعة والعفة والعدل.

الحكمة:

الحكمة تعنى الإصابة فى العلم والعمل، ورجل حكيم أى بصير بوضع الأمور فى نصابها، وهى أم الفضائل، وجعلها سقراط أسمى الفضائل وأجلها منها تصدر واليها تعود، وتعنى الحكمة عنده تمام العلم وكمال المعرفة من حواها فقد حوى الخير كله(١).

وأما أفلاطون فيرى أن الحكمة هى الفضيلة العليا التى تنشأ من سيطرة القوة العاقلة على القوة الغضبية والقوة الشهوانية، والحكيم هو الذى يفعل الخير لذات الخير وليس ابتغاء أغراض أخرى(٢).

وتعنى الحكمة لدى أرسطو المعرفة النظرية والعملية، فهى فضيلة عقلية تمكن صاحبها من حسن القيام بعمله(٣).

ومن فلاسفة الإسلام نجد ابن مسكويه يعرفها بأنها "فضيلة النفس الناطقة المميزة"، وتتمثل هذه الفضيلة فى العلم بالأمور الإلهية والأمور الإنسانية، ويثمر هذا العلم معرفة المعقولات "أيها يجب أن يفعل، وأيها يجب أن يغفل"(٤).

---

(١) تاريخ النظريات الأخلاقية، د. أبو بكر ذكرى ص٥٣.
(٢) المرجع السابق، ص٥٣.
(٣) الأخلاق النظرية، د. عبد الرحمن بدوى ص١٦٢.
(٤) تهذيب الأخلاق، ابن مسكويه ص١٨، ص١٩.

ويذهب ابن مسكويه إلى أن الحكمة "وسط بين السفه والبله". أما السفه فهو استعمال القوة الفكرية فيما لاينبغى، وكما لاينبغى، وأما البله فهو تعطيل القوة الفكرية بالإرادة[١].

ويرى ابن مسكويه أن الحكمة تحتها عدة فضائل خلقية تتصل بها وهى الذكاء والذكر والتعقل وسرعة الفهم وقوته وصفاء الذهن، وبهذه الأشياء يكون حسن الاستعداد للحكمة.

فأما "الذكاء" فهو سرعة انقداح النتائج وسهولتها على النفس.

وأما "الذكر" فهو ثبات صورة ما يخلصه العقل أو الوهم من الأمور.

وأما "التعقل" فهو موافقة بحث النفس عن الأشياء الموضوعة بقدر ما هى عليه.

وأما "صفاء الذهن" فهو استعداد النفس لاستخراج المطلوب.

وأما "جودة الذهن وقوته" فهو تأمر النفس لما قد لزم من المقدم.

وأما "سهولة التعلم" فهو قوة النفس وحده فى الفهم بها تدرك الأمور النظرية[٢].

ويذهب الإمام الغزالى أيضاً إلى أن الحكمة فضيلة القوة العقلية، وتنقسم الحكمة عنده إلى حكمة نظرية، وحكمة خلقية. فالحكمة النظرية خاصة بالعلوم الكلية الضرورية والنظرية التى تتلقاها النفس من الملأ الأعلى كالعلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وكتبه ورسله وأصناف خلقه فى العالم، والحكمة الخلقية حالة وفضيلة للنفس العاقلة بها تسوس القوة الغضبية والشهوية، وتقدر حركاتها بالقدر الواجب فى كل الأحوال، وهى العلم بصواب الأفعال[٣].

---

(١) تهذيب الأخلاق، ابن مسكويه ص٢٦.
(٢) المرجع السابق، ص٢٣.
(٣) الإحياء، ص٥٣، فلسفة الأخلاق فى الإسلام ص١٥٩، ص١٦٠.

وأرى أن الحكمة رأس الأخلاق الحسنة وهى منحة من الله يختص بها من يشاء من عباده، فمن أصاب من فضل الله علماً غزيراً وتوفيقاً فى العمل وإصابة فى الحكم فقد أصاب الحكمة والخير كله. قال تعالى﴿يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب﴾(١).

ويدل على عظيم قدرها أن الله عز وجل وصف بها نفسه فى غير موضع من الكتاب الكريم حيث يقول ﴿وهو العليم الحكيم﴾(٢)، وقال جل شأنه ﴿إن الله كان عليما حكيما﴾(٣)، وقال سبحانه وتعالى ﴿وهو الحكيم الخبير﴾(٤).

ولاشك أن للحكمة أثرها البعيد فى سلوك الأفراد والجماعات فهى تقتضى قبل كل عمل بصرا بالأمور من جميع نواحيها وحذرا وحيطة قبل الاندفاع فيها فنتجنب بها مزالق الإقدام ونتوقى الأخطار فى الحياة العامة والخاصة.

الشجاعة:

تقوم الشجاعة أساساً على ضبط النفس عند مواجهة الخطر أو الألم، كما تقوم فى مواجهة الظلم والشر بالقول والفعل، وفى التغلب على الصعوبات والأخطار التى تتجاوز المعتاد وفى احتمال أشد الآلام بصبر وثبات.

ويضاد الشجاعة رذيلتان: الإفراط فى الخوف، والتهور، وهكذا نجد أن الشجاعة ليست مساوية لعدم الخوف كما يتوهم بعض الناس، فهناك أخطار يجب على العاقل أن يخافها، ولذلك فإن من تمام الشجاعة أن يخاف الشجاع ما ينبغى أن يخاف، فالشجاعة الحقة لا تقوم فى عدم الخوف من شئ، بل تقوم فى الخوف مع الفطنة، والتجرؤ دون التهور، إنها تتجنب الخطر الذى لا داعى

---

(١) سورة البقرة- آية ٢٦٩.

(٢) سورة التحريم- آية ٢.

(٣) سورة النساء- آية ١١.

(٤) سورة الأنعام- آية ١٨.

لمواجهته له، لكنها عند الواجب لا تتردد فى مواجهة الموت المحقق[١].

والشجاعة عند "سقراط، وأفلاطون" علم، إنها علم بالأشياء المخيفة، ولـذا نراها دائماً مصحوبة بالفطنة، والشجاعة هى الأساس فى الظن المستقيم، والشجاعة تشارك العدل، والعدل يشارك الحكمة إنها تجاه الأمور المخيفة طاقة عادلة حكيمة فطنة، إذ الشجاعة التى تعوزها الفطنة هى تهور أعمى[٢].

أما "أرسطو" فيرى أن الشجاعة وسط بين الجبن والتهور، وأن الإنسان الذى يخشى كل شئ ويفر من كل شئ ولا يستطيع أن يحتمل شيئاً فإنه جبان، وهذا الذى لايخشى البتة شيئاً ويقتحم جميع الأخطار هو متهور.

لذلك فهو يرى أن الشجاعة الحقة هى التى تقتحم الخطر وتحمله لأن الواجب يقتضى احتماله ولأنه يكون من الخجل التخلى عنه[٣].

وقد عرف ابن مسكويه الشجاعة بأنها "فضيلة النفس الغضبية وتظهر فى الإنسان بحسب انقيادها للنفس الناطقة المميزة، واستعمال ما يوجبه الرأى فى الأمور الهائلة". أى لايخاف من الأمور المفزعة إذا كان فعلها جميلاً والصبر عليها محموداً[٤].

أما الإمام الغزالى فيرى أن الشجاعة وسط بين التهور والجبن. فالتهور هو الحالة التى بها يقدم الإنسان على الأمور المحظورة التى يجب فى العقل الإحجام عنها، والجبن حالة بها تنقص حركة القوة الغضبية عن القدر الواجب

(١) الأخلاق النظرية، د. عبد الرحمن بدوى، ص١٧٨.
(٢) المرجع السابق، ص١٧٩.
(٣) الأخلاق بين الفلاسفة وحكماء الإسلام، د. مصطفى حلمى، ص٤٤.
(٤) تهذيب الأخلاق، ابن مسكويه ص١٨، ص٢١.

فتتصرف عن الإقدام حيث يجب الإقدام[1].

ورأى كل من الغزالى، وابن مسكويه هنا متفق فى جملته مع رأى كل من أفلاطون وأرسطو.

ويندرج تحت الشجاعة عدة فضائل هى: كبر النفـس، والنجـدة، وعظـم الهمة، والثبات، والصبر، والحلم، والشهامة.

أما كبر النفس: فهو الاستهانة باليسير والاقتـدار علـى حمـل المكـاره والهوان.

وأما النجدة: فهى ثقة النفس عند المخاوف حتى لايخامرها جزع.

وأما عظم الهمة: فهى فضيلة للنفس تحتمل بها سعادة الجد وصدها حتـى الشدائد التى تكون عند الموت.

وأما الثبات: فهو فضيلة للنفس تقوى بها على احتمال الآلام ومقاومتها فى الأهوال الخاصة.

وأما الحلم: فهو فضيلة للنفس تكسبها الطمأنينة، فـلا تكـون شـغبة ولا يحركها الغضب بسهولة وسرعة.

وأما الشهامة: فهى الحرص على الأعمال العظام[2].

ومن أعظم مظاهر الشجاعة مقابلة الشدائد بكل ثبات وصـبر والتصـرف بحكمة وروية.

وليست الشجاعة قاصرة على حمل السلاح والمشاركة فى الحروب، بل إن هناك كثيراً من مجالات الحياة اليومية تحتاج إلى شجاعة لا تقل عـن شـجاعة الجنود فى ميادين الحروب كالشجاعة فى مواجهـة الآلام والأمـراض، وفـى

---

(١) إحياء علوم الدين، الغزالى ص٥٣.

(٢) تهذيب الأخلاق، ابن مسكويه ص ٢٥، ص٢٦.

مواجهة الأزمات الاقتصادية وفى كل مصائب الدنيا[١].

ولقد أوضحت الشريعة الإسلامية لنا حدود الشجاعة الواجبة على المرء فى الحرب. قال تعالى ﴿يأيها النبى حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لايفقهون﴾[٢].

وقال تعالى ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين﴾[٣].

كذلك فى غير الحرب توجد حالات يتعين على المرء أن يدافع فيها عن نفسه وعرضه بشجاعة ويكون ملوما إذا قصر.

فالشجاعة فضيلة يجب أن يتحلى بها الإنسان لما لها من أثر بالغ فى حياة الفرد والمجتمع، وعلى الإنسان أن يتحمل المشقات ويواصل عمله مطمئناً بأنه مأجور عند ربه بقدر ما أبدى من عزم شديد وما بذل من جهد جهيد.

فالله سبحانه وتعالى يميز الصابرين على تحمل المشقات عن الجزعين عنها وذلك مصداقاً لقوله تعالى ﴿ولنبلونكم حتى تعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخياركم﴾[٤].

العفة:

هى اعتدال الميل إلى اللذائذ وخضوعه لحكم العقل، وليس ذلك مقصورا

---

(١) الأخلاق، د. أحمد أمين ص١٩٢، ص١٩٣.
(٢) سورة الأنفال- آية ٦٥.
(٣) سورة الأنفال- آية ٦٦.
(٤) سورة محمد- آية ٣١.

على اللذائذ الجسمية بل يشمل أيضاً اللذائذ النفسية كالانفعالات والعواطف، فـــلا يسمى الشخص "ضابطا لنفسه" إلا إذا اعتدل فى لذاته الجسمية من مأكل ونحوه، واعتدل أيضاً فى انفعالاته فلم يغضب لأى داع(١).

فهذه الفضيلة تجعل الإنسان سيد نفسه لاعبداً لشهوات تسيره كمـا تشـاء، فالعفة تهدف إلى إخضاع الشهوات والغرائز لضوابط العقل وهذا المعنى يقـرره سقراط حين يقول أن الإنسان عقل وجسم، فإن قوة عقله هى التى تسيطر علــى دوافع الحس ونزواته.

كذلك أفلاطون يرى أن العفة فضيلة القوة الشهوانية تلطف الأهواء(٢).

أما أرسطو فيقول "كما أن التلميذ يجب أن يطيع تعاليم أستاذه. كذلك يجب على قوة الشهوة أن تتبع العقل، ولذا يجب فى الاعتدال التوفيــق بيــن الشــهوة وأحكام العقل، كلاهما يهدف إلى الجمال الخلقى، وهكـــذا يشــتهى المعتــدل أو العفيف ما يجــب عليه وعلى النحو الذى يجب عليه أن يشتهيه، وهذا أيضاً هــو ما يقضى العقل باشتهائه"(٣).

ومن فلاسفة الإسلام يذهب ابن مسكويه إلى القول بأن العفة "فضيلة الحس الشهوانى وظهور هذه الفضيلة فى الإنسان يكون بأن يصرف شـــهواته بحسـب الرأى أعنى أن توافق التمييز الصحيح حتى لاينقاد لها ويصير بذلك حراً غـــير متعبد لشئ من شهواته"(٤).

والعفة أصل لكثير من الفضائل الهامة كالحياء والدعة، والصبر والســخاء والحرية والقناعة والدماثة والانتظام، وحسن الهدى والمسالمة والوقار والورع.

(١) الأخلاق، د. أحمد أمين ص١٩٩.
(٢) الأخلاق بين الفلاسفة وحكماء الإسلام، د. مصطفى حلمى ص٣٥، ص٣٩.
(٣) الأخلاق النظرية، د. عبد الرحمن بدوى ص١٨٢.
(٤) تهذيب الأخلاق، ابن مسكويه ص٢١.

أما الحياء: فهو انحصار النفس خوف إتيان القبائح والحذر من الذم والسب.

وأما الدعة: فهى سكون النفس للهوى لئلا تنقاد لقبائح اللذات.

وأما السخاء: فهو التوسط فى الإعطاء وهو أن ينفق الأموال فيما ينبغى على مقدار ما ينبغى وعلى ما ينبغى.

وأما الحرية: فهى فضيلة بها يكتسب المال من وجهة، ويمتنع من اكتساب المال من غير وجهة.

وأما القناعة: فهى التساهل فى المأكل والمشارب والزينة.

وأما الدماثة فهى حسن انقياد النفس لما يجمل وتسرعها إلى الجميل.

وأما الانتظام: فهو حال للنفس تقودها إلى حسن تقدير الأمور وترتيبها كما ينبغى.

وأما حسن الهدى: فهو محبة تكميل النفس بالزينة الحسنة.

وأما المسالمة: فهى موادعة تحصل للنفس عن ملكة لا اضطرار فيها.

وأما الوقار: فهو سكون النفس وثباتها عند الحركات التى تكون فى المطالب.

وأما الورع: فهو لزوم الأعمال الجميلة التى فيها كمال النفس(١).

كما يذهب ابن مسكويه إلى القول بأن العفة وسط بين رذيلتين وهما الشره، وخمود الشهوة، فأما الشره فهو الإنهماك فى اللذات والخروج فيها عما ينبغى، وأما خمود الشهوة فهو السكون عن الحركة التى تسلك نحو اللذة الجميلة التى يحتاج إليها البدن فى ضروراته وهى ما رخص فيه صاحب الشريعة والعقل(٢).

ورأى الغزالى قريب من هذا فهو يرى أن العفة تأدب قوة الشهوة بتأدب

---

(١) تهذيب الأخلاق، ابن مسكويه ص٢٤.
(٢) المرجع السابق، ص٢٧.

العقل والشرع، وأن العفة أصل لكثير مـــن الفضـــائل مثــل الحيــاء والخجــل والمسامحة، والصبر، والسخاء، وحسن التقدير والقناعة والـــورع، ومـــن حـــرم فضيلة العفة حرم أيضاً من كل هذه الفضائل(١).

ومنهج الإسلام فى توجيه الإنسان إلى هذه الفضيلة هو مراعاة القصد فـــى اللذائذ فإن هو أفرط فانهمك فى شهواته أو فرط فأماتها وبالغ فى الزهد فقد حـــاد عن سواء السبيل.

وأفضل الطرق فى الحياة أن يتمتع الإنسان بالملذات الطيبـــة فـــى حـــدود الأخلاق غير متجاوز بذلك الحـــدود المشروعة، والإسلام نعـــى علـــى الذيـــن يمنعون الناس من هذه المتعة التى أخرجها الله لعباده. قال تعالى ﴿قل من حـــرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحيـــاة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾(٢).

كما وضح الإسلام خطأ الذين ينهمكون فى ملذات الحياة تاركين ما أمرهم الله به من الواجبات الإلهية وكأنهم خلقوا من أجل هذه المتعة الحسية. قال تعالى ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا واحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لايحب المفسدين﴾(٣).

فالعفة لاتعنى القضاء على الشهوات والرغبات، وإنما العلو بها وتهذيبهـــا واعتدالها وجعلها خاضعة لحكم العقل والشرع ففى القضاء على الشهوات قضاء على الشخص وعلى النوع وفى اعتدالها سعادتهما جميعاً(٤).

فالله تعالى دعانا إلى عدم تحريم الطيبات. فقال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا

(١) إحياء علوم الدين، الغزالى ص٥٤.
(٢) سورة الأعراف- آية ٣٢.
(٣) سورة القصص- آية ٧٧.
(٤) الأخلاق، د. أحمد أمين ص٢٠٣.

لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لايحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون﴾[١].

وقد روى البخارى "أخبرنا حميد بن أبى حميد الطويل أنه سمع أنس بن مالك رضى الله عنه يقول جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبى صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها. فقالوا وأين نحن من النبى صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم أما أنا فإنى أصلى الليل أبدا، وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أنتم الذى قلتم كذا وكذا أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى"[٢].

والعفة شأنها شأن كثير من الفضائل السامية لا تحصل ملكتها بمجرد التعليم النظرى ولا تتم فضيلتها بالأمر والنهى المجردين، وإنما هى قبل كل شئ قدوة ورياضة عملية منذ الصغر ولابد لكى يلقن النشئ فضيلة العفة ويألفها أن يكون مربيه عفيفاً قبل كل شئ.

وهكذا تقف العفة أمام شهوات النفس والهوى فتقلل من غلوائها وتحد من شرها وتقوم من انحرافها وتوجهها وجهة الخير والسداد والصلاح.

العدل:

هو إعطاء كل ذى حق حقه بما يقتضيه الحق، والعدل فضيلة فردية واجتماعية معاً، أما أنه فضيلة فردية فذلك لأنه يدل على مزاج ذاتى خاص

---

(١) سورة المائدة- آية ٨٧.

(٢) رواه البخارى فى باب النكاح جـ٣، ص٢٣٧.

عند الإنســـان العادل، وأما أنه فضيلة اجتماعية فمن حيث مراعاة هذه الفضيلــة لحقوق الغير.

أما أفلاطون فيرى أن العدالة حالة التناسب بين قوى النفس الثلاث العقلية والغضبية والشهوية، وليست العدالة عنده فضيلة خاصة ولكنها حـــال الصُــلاح والتناسب الناشئ عن اجتماع الحكمة والشجاعة والعفة، أما العدالة الاجتماعيــــة فهى تحقيق مثل هذا النظام فى علاقات الأفراد فإن الرجل الصـــالح فـــى نفســه صالح بالضرورة فى معاملاته والعكس بالعكس[١].

ومن هنا ذهب أرسطو إلى أن العدالة لما كانت تهم المجتمع المدنى فإنهـــا فضيلة بالنسبة إلى الغير وليست فضيلة مطلقة[٢].

لذلك يعتبر أرسطو العدل أهم الفضائل لأنه يمتاز عن سواه من الفضـــائل بأنه متعد إلى الغير، والمرء يشق على نفسه إلزامها بانصاف الغير مـــن نفســه. فالرجل الصالح فى نفسه صالح بالضرورة فى معاملاته والعكس بالعكس[٣].

ومن فلاسفة الإسلام يذهب ابن مسكويه إلى أن العدالة (يحدث للإنسان بها سمة يختار بها أبدا الإنصاف من نفسه على نفسه أولاً، ثم الإنصاف والانتصاف من غيره وله).

ويندرج تحت العدالة فضائل كثيرة ذكرها ابن مسكويه منهـــا: الصداقـــة، والألفة، وصلة الرحم، والمكافأة، وحسن الشركة، وحســـن القضـــاء، والتـــودد، والعبادة،وترك الحقد، ومكافأة الشر بالخير، واستعمال اللطف، وركوب المـــروءة

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية، د. يوسف كرم، ص٨٦.
(٢) الأخلاق النظرية، د. عبد الرحمن بدوى ص١٦٥.
(٣) تاريخ الفلسفة اليونانية، د. يوسف كرم ص٨٦.

فى جميع الأحوال، وترك المعاداة...الخ[١].

أما الصداقة: فهى محبة صادقة يهتم معها بجميع أسباب الصديق وإيثار فعل الخيرات التى يمكن فعلها به.

وأما الألفة: فهى اتفاق الآراء والاعتقادات وتحدث عن التواصل فيعتقد معها التضافر على تدبير العيش.

وأما صلة الرحم: فهى مشاركة ذوى اللحمة فى الخيرات التى تكون فى الدنيا.

وأما المكافأة: فهى مقابلة الإحسان بمثله أو بزيادة عليه.

وأما حسن الشركة: فهو الأخذ والإعطاء فى المعاملات على الاعتدال الموافق للجميع.

وأما حسن القضاء: فهو مجازاة بغير ندم ولا من.

وأما التودد: فهو طلب مودات الأكفاء وأهل الفضل بحسن اللقاء والأعمال التى تستدعى المحبة.

وأما العبادة: فهى تعظيم الله تعالى وتمجيده وطاعته وإكرام أوليائه من الملائكة والأنبياء والأئمة والعمل بما توجبه الشريعة وتقوى الله تعالى تتم هذه الأشياء وتكملها[٢].

أما الإمام الغزالى فهو يرى رأى أفلاطون فى أن العدل حالة للقوى الثلاث العقلية والغضبية والشهوية فى انتظامها بل هو عبارة عن جملة الفضائل، وليس العدل وسطا بين رذيلتين بل هو يقابله رذيلة الجور[٣].

ولقد حرص الدين الإسلامى على التأكيد على فضيلة العدل وعلى الحث

(١) تهذيب الأخلاق، ابن مسكويه ص١٨-٢٣.
(٢) المرجع السابق، ص٢٧، ص٢٩.
(٣) إحياء علوم الدين جـ٣ ص٥٤.

على السير على منهاجها. قال تعالى ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾(١).

فكل إنسان مطالب أن يعمل لتحقيق العدل فى مجتمعه على قدر استطاعته، كما أنه يجب عليه اليقظة فى حكمه واجتهاده وألا يتغلب عليه هوى أو ميل عن العدل.

فالعادل ينبغى عليه أن يعمى عن الاعتبارات التى تجعله يتحيز من غير حق، والاعتبارات التى تصرف الإنسان عن العدل هى فى عمومها مؤثرات تجعل الإنسان يتحيز لأحد الجانبين مثل التحيز لمن يحب أو من أجل منفعة شخصية يجنبها من وراء تحيزه أو التأثر بالمظهر الخارجى لأحد الجانبين وعلى العكس من ذلك يتحرى الإنسان العدل إذا تحرر من تأثير هذه المؤثرات(٢).

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فى قوله تعالى ﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى}(٣)، وقال تعالى {اعدلوا هو أقرب إلى التقوى واتقوا الله﴾(٤).

وللحرص على العدل لم يترك الكتاب الكريم ولا السنة الشريفة موضعاً إلا وقد وضحت فيه معالم الحق وسبل الإنصاف. قال تعالى ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾(٥).

---

(١) سورة الحديد- آية ٢٥.
(٢) الأخلاق، د. أحمد أمين ص٢٠٩.
(٣) سورة الأنعام- آية ١٥٢.
(٤) سورة المائدة- آية ٨.
(٥) سورة النحل- آية ٩٠.

وقال تعالى ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾(١).

فالعدل فضيلة دعا إليها الإسلام ولا نجد دينا خص العدل بعناية كتلك التى خصه بها دين الإسلام وحسبنا القرآن الكريم شاهداً بذلك فقد دعى صراحة إلـــى مراعاة العدل فى موضوع تدعو الحاجة فيه إلى العدل، بل لقد نبه إلى وجـــوب مراعاته حتى فى معاملة الأعداء والمخالفين فى الدين. قال تعالى ﴿ولا يجرمنكم شنآن على آلا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾(٢).

وأمثال تلك الآيات البينات كثيرة فى الكتاب الكريم.

والسنة المحمدية مليئة بالحث على العدل مثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم "اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة"(٣). وقال صلى الله عليه وســـلم "المسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يسلمه"(٤).

وفى بيان منزلة العدل والعادلين روى عن عبد الله بن عمرو بن العـــاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن المقسطين عنـــد الله على منابر من نور الذين يعدلون فى حكمهم فى أهليهم وما ولوا"(٥).

ولكى يكون هناك مجتمع عادل فإنه لابد لكل فرد من أفـــراده أن يتحمـــل مسئوليته فى تحقيق العدل فى مجتمعه بإعطاء كل ذى حق حقه دون ظلم أو غبن ولا تفريق بين نفس ونفس لأن العدل هو إقامة العدالة بين الناس جميعاً، ويوم أن يعم العدل بين الناس تسعد البشرية جمعاء، ويعم الرخاء والخير والحق بين أفراد المجتمع.

(١) سورة النساء- آية ٥٨.
(٢) سورة المائدة- آية ٨.
(٣) صحيح مسلم جـ٢ ص٤٣٠.
(٤) المرجع السابق جـ٢، ص٤٢٠.
(٥) رواه البخارى جـ٢، ص٦٦.

الخاتمـــــــــــة

من خلال هذه الدراسة للمناهج والآراء المختلفة فى الفضيلـــة يمكننــا أن نستخلص النتائج الآتية:

أولاً: المناهج اليونانية قاصرة عن المنهج الإسلامى لأنها تعتمد على العقل وحده ولا تعتمد على دين إلهي يحميها من الانحراف وينير الطريق إلى الكمـــال الإنسانى.

والمنهج الإسلامى يعتمد على الدين الإلهى والوحى السماوى وقائم علــــى التعاليـــم الإسلامية المستمدة من الكتاب الكريم والسنة النبويـــة الشـــريفة، وهو مع ذلك لم يهمل العقل بل جعل العقل مع الشرع فلا يستغنى بأحدهما عن الآخر.

ثانياً: المناهج اليونانية تتسم باختلاف الآراء والمذاهب لأنها من وضع الإنســـان وليس أدل على ذلك من تعددها وكثرتها.

أما المنهج الإسلامى فهو منهج واحد عبـــارة عـــن مجموعـــة الأوامـــر والنواهى التى شرعها الله لعباده والتى لا يأتيها الباطل من بين يديهـــا ولا من خلفها تنزيل من حكيم حميد فهو منهج معصوم لأنه مـــن عنـــد اللـــه سبحانه وتعالى.

ثالثاً: المناهـــج اليونانية قاصرة عن تحقيق التوازن فى ذات الإنسان ومـــن ثـــم فهى لا تصلح لأن تكون مقياساً للأخلاق الإنسانية الفاضلة.

أمـــا المنهج الإسلامى فهو أفضل المناهج لأنه منهـــج متكـــامل يكتنـــف الإنســـان فى جميع جوانبه ويحقق للإنسان التوازن بين متطلبات الجســـد وحاجات الروح، فهو يحمى الإنسان من الانحـــراف ويصـــون الفضيلـــة ويحفظ القيم من الانحلال والدمار، ومن ثم فهو مقياس للأخلاق الفاضلة.

رابعاً: المناهج اليونانية لم تستطع أن تقدم للإنسانية منهجا متكاملاً شاملاً لأنهـــا

محدودة بالزمان والمكان والمعتقدات الموروثة.

بينما المنهج الإسلامى هو المنهج الحق القويم، فهو منهج متكامل يصلح للإنسان فى كل زمان ومكان ويتصف بالعموم والشمول والكمال والثبات لذلك فهو يحقق للإنسانية كمالها وسعادتها.

خامساً: المناهج اليونانية تفتقد صفة الإلزام الذى يحمل الآخرين على اعتناقها، فهى لا تؤثر إلا على جانب واحد من النفس هو الجانب العقلى.

أما المنهج الإسلامى يتسم بالإلزام السماوى الذى يسمو فوق كل إلزام، ولن يشذ عن الالتزام به سوى العقول الضالة والضمائر المنحرفة.

سادساً: المناهج اليونانية عاجزة عن تحقيق السعادة الكاملة التى ينشدها الإنسان.

بينما المنهج الإسلامى يهدف إلى تحقيق الكمال الإنسانى متى التزم الإنسان بتعاليم الشريعة الإسلامية، وبتطبيق الأخلاق الفاضلة، وبمقدار التزام الإنسان بتعاليم الإسلام بمقدار ما يتحقق له من السعادة فى الدنيا والآخرة.

المراجـــــع

١ - القرآن الكريم.
٢ - مسند الإمام أحمد بن حنبل- المكتب الإسلامى فى الطباعة والنشر.
٣ - سنن أبى داود، الطبعة الأولى ١٣٧١هـ-١٩٥٢م، مطبعة مصطفىٰ البابى الحلبى.
٤ - فتح البارى بشرح صحيح الإمام البخارى، المطبعة السلفية.
٥ - صحيح مسلم بشرح النووى، المطبعة المصرية.
٦ - المعجم الوجيز.
٧ - مختار الصحاح.
٨ - المعجم الفلسفى لمجمع اللغة العربية.
٩ - الأخلاق، د. أحمد أمين، الطبعة العاشرة ١٩٨٥، مكتبة النهضة المصرية.
١٠- الأخلاق النظرية، د. عبدالرحمن بدوى، الطبعة الثانيـــة ١٩٧٦، وكالـــة المطبوعات، الكويت.
١١- تاريخ النظريات الأخلاقية، د. أبو بكر ذكرى، الطبعة الثالثة، ١٩٥٨.
١٢- قصة الفلسفة اليونانية، د. أحمد أمين، الطبعة التاسعة، النهضة المصرية.
١٣- تاريخ الفلسفة اليونانية، د. يوسف كرم، الطبعة الرابعة، النهضة المصرية.
١٤- الفلسفة الخلقية، د. توفيق الطويل، دارة النهضة العربية، ١٩٦٧م.
١٥- الأخلاق بين الفلسفة وحكماء الإسلام، د. مصطفى حلمى، ١٩٨٦.
١٦- تاريخ الأخلاق،د.محمد يوسف موسى، مكتبة محمد على صبيح، ١٩٥٣م.
١٧- مقدمة كتاب الأخلاق لأرسطو، ترجمة الأستاذ/ لطفى السيد.
١٨- مقدمة فى علم الأخلاق، د. محمود حمدى زقزوق، دار الفكـــر العربـــى، الطبعة الرابعة.
١٩- الجمهورية، ترجمة د. فؤاد زكريا.

٢٠- أرسطو، د. عبد الرحمن بدوى، الطبعة الثالثة، النهضة المصرية، ١٩٥٣.
٢١- مراحل الفكر الأخلاقى، د. نجيب بلدى، دار المعارف، ١٩٦٢.
٢٢- دروس فى تاريخ الفلسفة، د. يوسف كرم، المطبعة الأميرية، ١٩٤٩م.
٢٣- المشكلة الخلقية، د. زكريا إبراهيم، الطبعة الثالثة، مكتبة مصر، ١٩٨٠.
٢٤- الفلسفة العامة والأخلاق، د. كمال جعفر.
٢٥- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، مطبعة النيل، ١٩٥٠م.
٢٦- الأخلاق فى الاسلام، د. يعقوب المليجى، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٨٥.
٢٧- دراسات إسلامية، د. محمد عبد الله دراز، دار القلم بالكويت، ١٩٨٠.
٢٨- تهذيب الأخلاق، ابن مسكويه، مكتبة صبيح، ١٩٥٩م.
٢٩- ابن مسكويه فلسفته الأخلاقية ومصادرها، د. عبد العزيز عزت، الطبعة الأولى، ١٩٤٦م.
٣٠- فلسفة الأخلاق فى الإسلام، د. محمد يوسف موسى الخانجى، ١٩٦٣.
٣١- تاريخ الفلسفة فى الإسلام، ترجمة د. عبد الهادى أبو ريده الطبعة الخامسة، النهضة المصرية.
٣٢- مبادئ الفلسفة والأخلاق، د. عبد الهادى أبو ريده، الطبعة الثانية.
٣٣- إحياء علوم الدين، الإمام الغزالى، مصطفى الحلبى، ١٩٣٩.
٣٤- ميزان العمل، الغزالى، تحقيق د. سليمان دنيا، القاهرة، ١٩٦٤م.
٣٥- الأخلاق عند الغزالى، د. زكى مبارك، القاهرة، ١٩٢٤م.

المحتويات

رقم الايداع بدار الكتب
٢٠٠١/٣١٧١
بتاريخ : ٢٠٠١/١/٢١
الترقيم الدولى: I.S.B.N
977-298-186-6
الناشر: مصر للخدمات العلمية
القاهرة- ٧٣ أ شارع مصر والسودان- **حدائق القبة**